(٢)

لا أعلم هُويتي

حوار بين متشكك ومتيقن

د. حسام الدين حامد




لا أعلم هويتي
حوار بين متشكك ومتيقن

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أعلم هويتي

حوار بين متشكك ومتيقن

د. حسام الدين حامد

الإيداع القانوني:
قياس الصفحة: ١٧×٢٤ سم
عدد الصفحات: ١٠٢ ص
الطبعة الثانية
(١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)



هاتف: ٠٠٢٠١٠٩٠٨٣٦١٦٤
بريد إلكتروني: tfakkor@gmail.com
الموقع: www.tfakkor.com



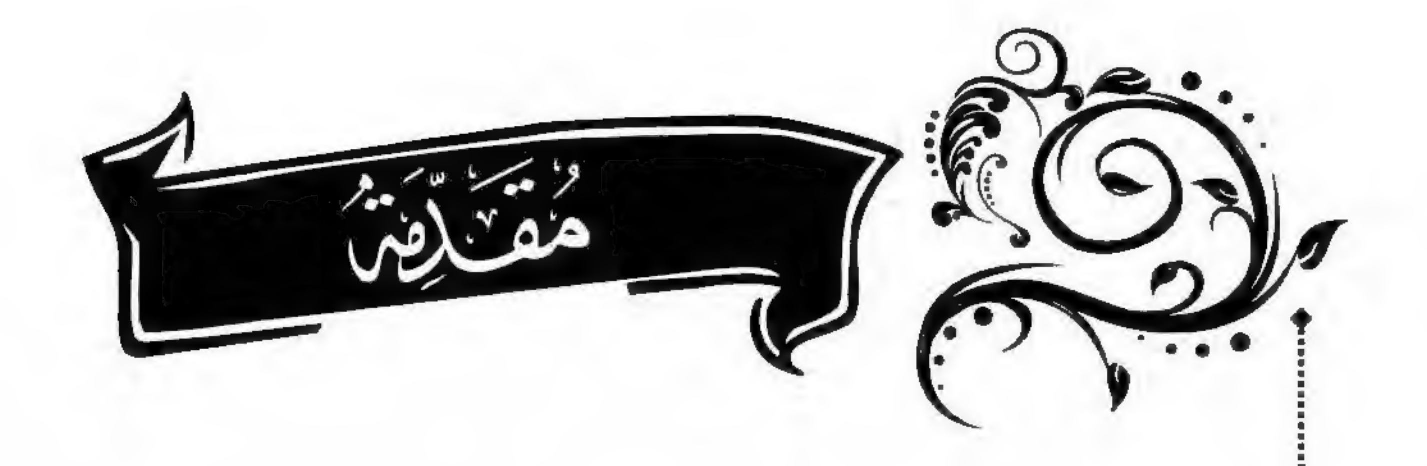
هاتف: ٠٠٢٠١٠٠٥٢٣٦٤٠٤



محتويات الكتاب

مقدمة	٧
أبو الحكم.. الطرف المتشكك	١١
أولا: الرسول والرسالة	١٥
ثانيا: إنه الله	٢٣
ثالثا: العلم والقدرة	٣٣
رابعا: صفقة ثقيلة!	٤٧
خامسا: وصفقة أخرى	٦٣
سادسا: سبيل المرسلين	٧٩
من هنا.. بدأت إيماني	٩٧





الحمدُ لله الذي أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍّ غيرِ ذي عِوج، الحمدُ لله أرسلَ رسوله بالهُدى، وأعطاه جوامع الكَلِم، الحمدُ لله جعلَ لأهل السُّنَّة نسبًا للحقِّ غيرَ مؤتشب، وأقامَ على الحق البراهين كالنُّجُم، وأخلى المُبطلين من صلةٍ للعلم بسبب، فالحمدُ بعد الحمد لله!

ونشهد ألاَّ إله إلاَّ الله وحده، تفرَّد بالمُلك، وله الخَلق والأمر، وكلَّ يومٍ هو في شأن، أقرَّ بالضعف عن إدراك حكمته العقلاءُ، وعجزَ عن إدراك الثناء عليه الفصحاءُ، بكرمه أنعمَ على عباده؛ فلم يُحصوا لنعمائه عدًّا، وبفضله غفر للتائبين، وإن جاءوا شيئًا إدًّا، فانظر إلى آثار رحمة الله!

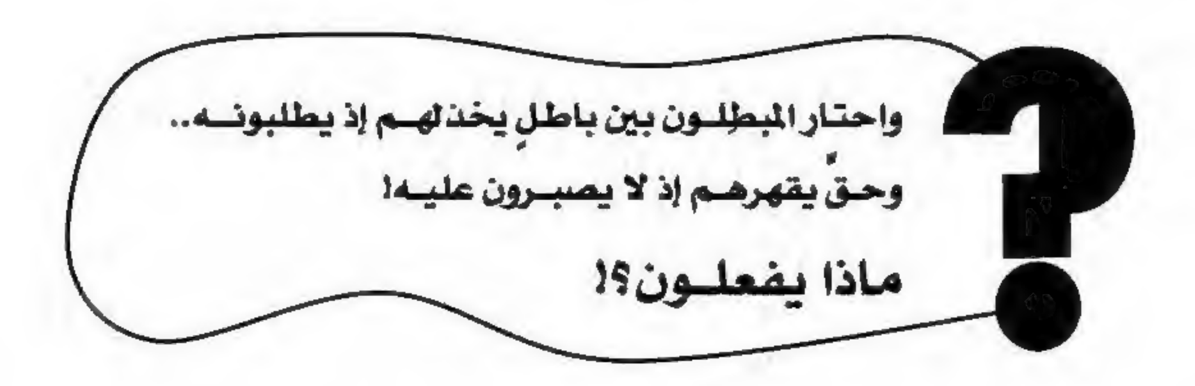
ونشهدُ أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، أرسلَه ربُّنا بالهُدى ودين الحقِّ، وأظهرَه على الدين كلِّه، ولم يقبضْهُ حتى أقام الملَّة العوجاء؛ ففتح به أعينًا عُميًا، وآذانًا صمًّا، فما أشقى مَن أعرض عن هَدْيِهِ، واحتذى على غير نهجه؛ يشقى في الواضحات بعقله، ما أشقاه!

ونعلمُ أنَّ الصحابة كانوا خيرَ أُمَّةٍ أُخرجت للناس، عاصروا الوحي، ولازموا النبيَّ، وأقاموا اللسانَ، وزايلوا العُجْمَةَ، وفهموا الحُجَّةَ، وتُركوا على المحجَّة، وقاموا بواجب البلاغ، وآذنوا بالعداوة مَن زاغ.

ونعلمُ أنَّ التابعين خيرُ قَرْنٍ بعدهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، فنحن نسعى على آثارهم، ونقتفي أثَرَهم، سائلين الله الهداية والثبات حتى نلقاه!

وبعـدُ..

فقد أخزى الباطلُ أهلَه، فتخلّفَ عن الزحف، واختفى وقتَ الحاجة، وزهق عند اللقاء، وما صمد في القتالِ ساعة، وأخزى الحقُّ أهلَ الباطل، فاشترطَ على طالبيه الصبر، وحفّت صراطَه صنوفُ المكاره، وكشف لسالكيه عن رؤوسِ الفتن، فساروا غرباء يحملون الجمر...



ليس ثَمَّ فرصةٌ للتراضي، والتقاربُ دعوةُ المخذول، والباطلُ يسري في خلسةِ اللصوص، يجذبُ الذُّبابَ إلى مجاريه، فإذا بالأثر قد دلَّ على المسير، ويقوم ركنُ الحقِّ شديدًا، وبصرُه حديدًا، وقولُه ظاهرًا، وصارمُه قاطعًا، يضطر الباطل إلى أضيق الطريق، ولا يظهر للباطل فُسحة مناص، يرى حتفَه دون أنفه، فيدفع دفعَ مستدبرٍ جرفٍ هارٍ، وما يلبث إلاَّ قليلاً، حتى يخذله قِصَرُ نَفَسِه، فلا يبقى من ذكرِه إلاَّ أنّه قد كان.

وهذا التدافع بين الحقِّ والباطلِ، وإن أصاب من نفسك موقع المعارك، وتصوّرته غُبارًا مُتصاعدًا حول قومٍ يقتتلون، إلاَّ أنّه يحمل في طيّاته انعكاسات النفس البشريّةِ جميعًا، حيث تهبط إلى مدارك العند والجُحود، أو تتسامى إلى معاني الافتقار والتواضع، أو تتردّد بين هذا وذاك، أو تقف لا تدري الصوابُ هنا أم هناك، يخدعها باطلٌ مُتبرج، فتشكُّ في معدنه، ويثقل عليها حقٌّ واضحٌ، فتنوء بحمله وقد تتركه، إنّها النفس البشريّةُ تعدو لا يستتر منها شيء، في ميدان التدافع بين الحقِّ والباطل!

وبين يديكم الآن حوار حول الإلحاد، دار في «منتدى التوحيد» بين: مُتشكِّك ومُتيقِّن، إنَّه حوارٌ بدأ بسائلٍ يقول:

> «أحسُّ بوجود خالقٍ في نفسي، ولكنَّني مازلتُ غيرَ مقتنع!»، وانتهى بمؤمنٍ يُقرِّر: «بحقٍّ من رفع السماء بغير عمدٍ، إنَّ حلاوة الإيمان ما بعدها حلاوة! آهٍ على تلك السنوات التي مرَّت من عمري وأنا بعيدٌ عن طريقكم، قد يسألني البعض عن عمري، لوددت القول أنَّني بهذا اليوم بلغتُ عامي الأول، عامي الأول بالإسلام، وعامي بالإيمان، وعامي بالراحة النفسيَّة، وعامي بالسعادة التي تغمر قلبي!».

وهاهو الحوار بما يعكس من سُبُلٍ تسلكها النفوس، وحججٍ ترضاها العقول، وإحساسٍ يخاطب العاطفة، من الطرفين جميعًا، الطرف الذي يسأل مُفتقرًا للمعرفة، طامعًا في النجاة، مُشتاقًا إلى حقيقةٍ يهتدي إليها، والطرف الذي يُجيب مُفتقرًا إلى التأييد الربانيِّ، طامعًا في التوفيق والتسديد، مُشتاقًا إلى قبولٍ يُلقيه الله في قلب محاوره.. ها هو الحوار بتمامه، سائلاً الله تعالى أن ينفع به قارئًا، ويُرشد به حائرًا، ويهدي به ضالاً، وأن يجعله لوجهه خالصًا!

كتبه:

د. حسام الدين حامد

١٣/٤/٢٠١٢م





المشاركة الأولى لأبي الحكم (الطرف المتشكك)

تحياتي للجميع..

هذه المشاركة الأولى لي في هذا المُلتقى الجميل.. أبدؤها بأي تحيةٍ تُلقى على مسامعنا في هذه المعمورة.. سلامٌ عليكم.. ومساؤكم خير.. ومرحبًا!!

لأتكلم قليلاً عن نفسي.. أنا إنسانٌ أعيش على أرض الرسالات السماويّة.. وفي مدينةٍ مُقدّسةٍ، كلّما مررتُ بين أحيائها أرى شواهد الإيمان بالإسلام والمسيحيّة، فهنا مغارةٌ أرضعت فيها مريمُ العذراء السيدَ المسيح، وهنا موطأ قدم الخليفة عمر بن الخطاب ومكان صلاته عندما فتح القدس.

في سنتي الجامعية السادسة؛ لأن الاحتلال (المتشكك فلسطيني) أبعدني قسرًا عن مقاعد الدراسة عامًا ونصف بسبب الاعتقال، أعيش ببساطةٍ وهدوء، أُحبُّ القراءة كثيرًا، وأحبُّ المناقشة السياسيّة، إنّني بمكانةٍ جيدةٍ في جامعتي وبين الطلبة على الصعيد السياسي والاجتماعي، وناشطٌ بإحدى الحركات الوطنيّة، وجئتكم مُتخفيًا عن كلِّ هذا لأحدّثكم عن نفسي!

الإخوة الموحدون الأعزاء!

جئتكم من بعيد، ولكنَّني قد أكون أقرب من الملحدين إليكم، قرأت الإسلام وتعلَّمت منه الكثير من الحِكم، تعلَّمتُ منه الكثير من النُّبل والشَّهامة، وحقيقةً إذا أردتُ أن أتبعَ دينًا أو مذهبًا لن أكون إلاَّ مُسلمًا؛ لأنَّني أراه أقرب إلى المنطق، وأنا من مُحبِّي المنطق.

الأخوة الأعزاء! أحسُّ بوجود خالقٍ في نفسي، ولكنَّني مازلتُ غير مقتنع، وقد أكون من غير الآبهين بهذا الموضوع، وبنفس الوقت أخاف أن يفوتني قطار الحياة وأموت في أي لحظة، وأكتشف أنَّني كنت على خطأ، وأقابل ذلك الرب الذي قال عنه الأنبياء!

إخوتي! مُنذ سنواتٍ طويلة، وأنا غير مُؤمنٍ بشيء، لكنَّ عقلي رفض الاستسلام لفكرةٍ ما، ورفض الاقتناع بأي فكرة، بعض الأحيان يراني الآخرون ملحدًا قويًا كافرًا عنيدًا، وعندما أقابل الملحدين أرى نفسي أدافع عن التراث الإسلامي والعربي.



إخوتي وأحبائي! أقرأُ الفلسفة الإسلاميَّة ولا أستطيع الاقتناع بها! أقرأُ الفلسفة الإلحاديَّة وأُعجب ببعضها، ولكنَّني لا أُقرر أن أكون مُلحدًا، لا أعلم ماذا أفعل؟!

والآن - وبعد كل هذا الجنون - قرَّرت ولجمت كبريائي، قرَّرت أن تُعلِّموني عن الفلسفة الإسلاميَّة، لا أريد النسخ واللصق، أريد أسلوبًا بسيطًا تتكلمون به عن إسلامكم.

تقبلوني كما أنا على جنوني واجعلوني صديقًا لكم، قد ترثون إرث حسنات كثيرة عند ربكم إذا أصبحتُ أخًا مُسلمًا لكم، تحدَّثوا إليَّ عن الإسلام، وعن الله، وعن الإيمان بمنطقيَّة وُجود خالق الكون، تحدَّثوا إليَّ عن كل شيء تعلمونه، وسأكون شاكرًا لكم!

مشاركتي الأولى في الرد على أبي الحكم

أبا الحكم.. كيف حالك؟! علَّك تحتاج إلى معرفة هُويتك، ولا يَقَرُّ لك قرارٌ حتى تعرف هُويتك.. وأن عسى أن يكون ذلك رُكِّب فيك تركيبًا؛ حتى لا يَقَرَّ لك قرارٌ حتى تصل إلى الحق..

وأن عسى أن يكون ذلك قد اقترب.. اللَّهم آمين!

بدايةٌ - طيبة بإذن الله..

هل تخبرني بمصادر العلم التي ترتضيها لإثبات قضية من القضايا؟

المشاركة الثانية من أبي الحكم في الرد على سؤالي..

الأخوة الكرام!

صدِّقوني لا أعلم ماذا أفعل في هذه الأيام، أحتاج إليكم، وأحتاج لمعونتكم، أعلم أنَّ وراء هذا الكون خالقًا، ولكنَّني مُتكبِّرٌ لدرجة عدم التصديق! صدق القائل: «إنَّ الكفر عناد»، وأنا أحد هؤلاء العنيدين الرافضين الخضوع.. هل هناك علاج لمشكلتي؟؟

ما أريده فقط إقناعًا عقليًا بوجود الخالق، إقناعًا وإيمانًا مطلقًا، أريد أن أصل إلى الراحة التي وصلتم لها، ولكنَّني لا أعلم الطريق! ■



أوّلا: الرسـول والرسالـة





الرسول والرسالة!

أبا الحكـم!

تقول: «أعلم أنَّ وراء هذا الكون خالقًا، ولكنَّني مُتكبِّرٌ لدرجة عدم التصديق!».

متكبرٌ على من؟ على الله؟! أظننتَ العبادة حِطّـة لـك؟!

لا يا أبا الحكم! هذا جُحـودٌ لا اعتدادٌ بالنفـس!

أرأيت إلى ولدٍ غذَّاه أبواه صغيرًا، وأنفقوا عليه صغيرًا وكبيرًا، وعلَّموه وربَّوْه، ورعَوْه وكفلوه، وأحاطوه بالعناية والرعاية، حتى إذا بلغ أشُدَّه تركهم دون برٍّ، وترك طاعتهم ظنًّا منه أنَّ الطاعة في ذلك تقـلُّ في اعتداده بنفسـه!!

أليس هـذا بجحـود؟ بلى!

فمِنَّةُ الله عليك أعظم من ذلك! أتريد أنْ أعدَّ لك أم تعرف؟ أم تراني لا أحصيها عددًا؟! فبعد أن يتمَّ عليك نعمه ظاهرةً وباطنةً تقول: «كبير»!!

إنَّ العبادة هي أعلى درجات الحُبِّ!! فمالك تنأى عنها؟! ما عليك إن قلتَ: «آمنتُ بالله» ثم استقمت؟! ما يضرُّك في هذا؟!

إنَّ أحد المتكبرين سيُنادى يوم القيامة وهو في النار: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾، أفتراك تسير في دربه و طريقه؟! ليس الطريق هنالك.. فاسمع مني!

تعالَ أطوف بك في متاهاتٍ تصل بك إلى الإيمان، ونستخرج من أرحام الحيرة جنينَ اليقين، وما عليَّ إن دخلتُ عليك من باب عقلك، وألقيت عليك الحجة حتى ترضى وأرضى! ثم ما عليَّ إن دلفتُ إلى باب العاطفة حتى ترضى وأرضى! ثم ما عليَّ إن ولجتُ إلى باب الفطرة أهزها هزًّا علَّك تفيق!

ما عليَّ إن خاطبتك ورأينا أيهما أذكى عقلاً، وأيهما أنضج فكرًا..

أهو الإيمان أم الإلحاد؟!

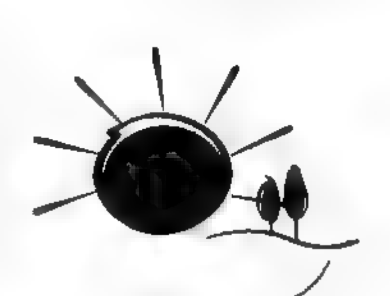
المثال الأول:

أبا الحكم!!

أريدك أن تتخيَّل معي دجَّالاً كذَّابًا يدَّعي أنَّه مُرسَلٌ من عند الله، ويموت ولدُه، ويوم موت ولده تنكسف الشمس، وحين تنكسف الشمس يقول الناس: «إنَّ الشمسَ انكسفت من أجل ولده»، أريد منك أن تُقلب هذا الأمر ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر، وترى كيف سيتصرف هذا الدجَّال؟! أعمل عقلك كثيرًا في هذه المسألة، وكيف سيتصرَّف دجالٌ وُضع في هذه الفرصة الذهبيَّة للترويج لنفسه!

> لقد قلتَ: «اقرأُ الفلسفة الإسلاميَّة ولا أستطيع الاقتناع بها، اقرأ الفلسفة الإلحاديَّة وأُعجب ببعضها».

فأخبرني بالفلسفة الإلحاديَّة كيف سيتصرف دجالٌ وُضع في الموقف السابق.. ثم تعالَ معي!



يموت إبراهيمُ ابن النبي ﷺ وتنكسف الشمس، ويتحدث الناس: «إنَّ الشمس قد انكسفت لموت ابن النبي ﷺ»، ويشمت المشركون: «لقد بُتِر محمد»، أي: لم يعد له أولادٌ يحملون اسمه من بعده، ويصرخ أحد الصحابة حُزنًا...

أما عن انكساف الشمس:

فلو أنَّ النبي ﷺ سكت ولم يتكلَّم؛ لاستقرَّ عند الناس أنَّ الشمس انكسفت لموت ولده إبراهيم، فمجرَّدُ السكوت كان يكفي!! ولو أنَّه سكتَ؛ لقُلْنا: كانت مصيبة موت ولده شديدة!! مجرَّدُ السكوت يا أبا الحكم كان كافيًا!!

لكن..

لكنَّه ﷺ يقول: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ؛ فَادْعُوا اللهَ وَكَبِّرُوا وَتَصَدَّقُوا وَصَلُّوا»! هكذا.. بوضوحٍ ودون أيِّ لبسٍ أو غموض!!

إنَّ رجلاً لا يكذب على الله ﷻ في مسألة كهذه لن يكذب عليه في أنَّه رسول من عنده، أليس كذلك؟ بلى.

ثم ماذا؟!

ثم في خضمِّ هذا الحزن تُشرع صلاة الكسوف، ويُصلِّي النبي ﷺ بأصحابه صلاة الكسوف، ويخطب فيهم خطبةً يتكلَّم فيها عن عذاب القبر، ولا يتكلم عن ولده بشيء!!

ثم ماذا؟!

ثم عندما يسمع مَن يصرخ من الصحابة حُزنًا على موت ولد النبي ﷺ؛ ينهاه عن ذلك، ويقول: «إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ»!!

ثـم مــاذا؟!

ثـم يقول ﷺ: «تَدْمَعُ الْعَيـنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، ولاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرْضِى الرَّبَّ، وَاللهِ! إِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيـمُ لَمَحْزُونُـونَ».

ثـم مــاذا؟!

ثـم لا يـردُّ على المشركين، ولا يتوعَّدُهم من حينه، ولا يردُّ لهم الصاع صاعين!! بل تنـزلُ السورة الكريمـة: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾.

لو تأمَّلتَ السورة؛ لوجدتها بشارةً للنبي ﷺ بالكوثر، و لو كان ـ وحاشاه ـ دَعِيًّا، أكان يُسلي نفسه بالكذب؟!

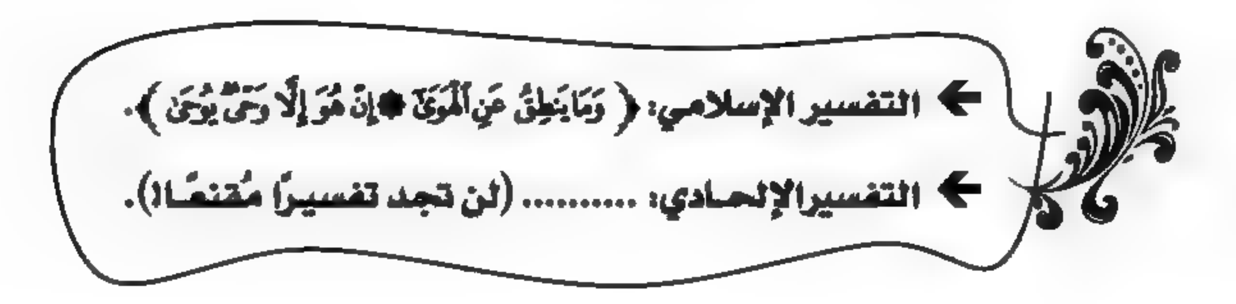
إنَّ النبيَّ ﷺ لو كان سيكذب ـ وحاشاه ـ، فلن يكذب على نفسه ويقول: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾، أو يقول: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، وعندما تنزل عليه الآية يأمر الصحابة الذين كانوا يحرسونه بترك الحراسة؛ لأنَّ اللهَ وعده أن يعصمه من الناس، أتُراه إلاَّ صادقـاً؟ نعـم والله! صادقـا مصدوقـا!

ثم تتأمَّل السورة، فتجدها تكليف بالعبادة: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾، الو كان الرد من عنده ـ وحاشاه ـ وليس من عند الله، أكان يكلف نفسه المزيد من العبادة في هذا الوقت الذي مات فيه ولـدُه، وشمـت به الكفـرة؟!!

ثم يأتي الردُّ عليهم في آخر السورة: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾.

هـذا موقفٌ واحدٌ من حيـاة النبي ﷺ تجاه حدث موت ابنه ﷺ، وجدناه فيه يدفع عن نفسه ما زعمه الناس: «أنَّ الشمس كسفت لموت ولده»، ويُصلي صلاة الكسوف، ويخطب عن عذاب القبر، ويأتي الرد على الكفار فيه تسليةٌ له بما له في الجنة، وتكليفٌ بالعبادة، وفي آخره الرد عليهم، ويمنع أصحابه من المبالغة في الحزن مع حزن قلبه على ولده، وهو في ذلك لا يقول إلاَّ ما يرضي الرب ﷻ.

ولم يسكت ليَفْهَمَ الناسُ أنَّ الشمس انكسفت من أجل ولده، ولم يقعد عن العبادة، وقام لصلاة الكسوف، ولم يكن ليخدعَ نفسَه بتسليةٍ من عند نفسه بالكوثر، ولم يكن ليزيد العبادات عليه، ولم يكن ليمنع أصحابه من المبالغة في الحزن لو كان كاذبًا صلى الله عليه و سلم، وحاشاه!!



المثال الثاني:

۞ قال تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

(البضع هو العدد بين الثلاثة والتسعة، أو الثلاثة والعشرة).

۞ قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.



هذا تنبؤ بأنَّ الروم ستغلب في بضع سنين، ولو مرَّت بضع سنينٍ ولم تَغلب الروم؛ فقد انتهى الأمر، وبطُلت النبوة، وبطُل الدين!!

وفي نفس الوقت عند الكلام عن موعد الساعة لا يتكلَّم ﷺ، ويقول: إنَّه لا يعلمه، ولو أنه قال: «ستقوم بعد ٥٠٠ سنة»؛ لما ضرَّه ذلك شيئًا!!



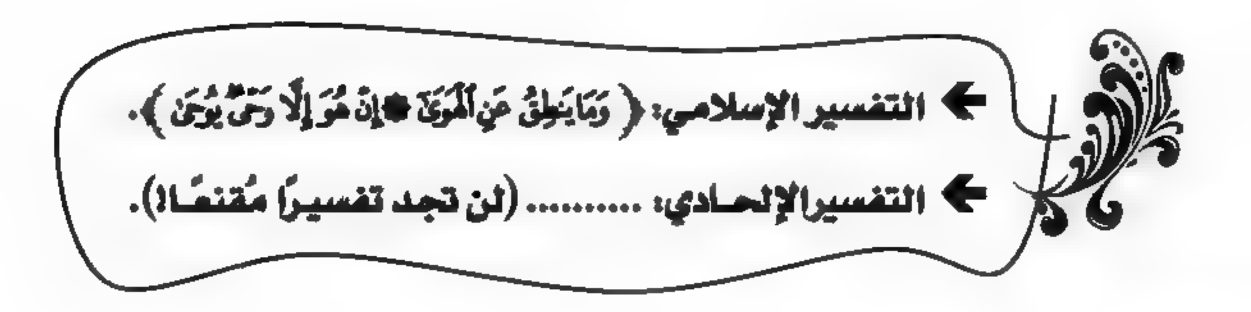
لو سألت أيَّ دجالٍ في العالم سؤالين، وقلت له أجب عن سؤال واحد ممّا يأتي:

(١) هل ستقلب روسيا أمريكا في خلال ١٠ سنين؟

(٢) متى تكون نهاية العالم؟

على أيِّ السؤالين سيُجيب، الأول أم الثاني؟!

سيجيب السؤال الثاني بلا تردُّدٍ يُذكر، ويترك السؤال الأول؛ لأنّه سيخشى أن ينفضح أمره، فلِمَ كان الحال مع النبي ﷺ هو العكس؟!

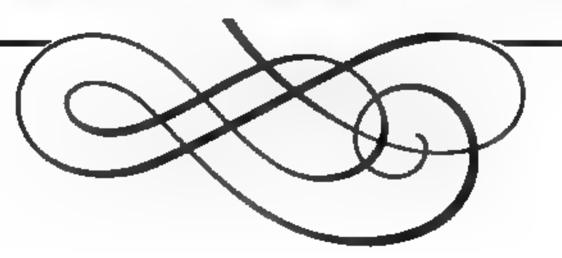


أزيدُك أم تردُّ عليَّ؟

أزيدك - بإذن الله - فاصبر! فإنَّ للكلام بقية! ■



ثانيا: إنــه اللّــه





أبا الحكـم!

كيف حالك؟! علّك أن تكون بخير، علّك ينقصك سجودٌ تُبلّل فيه الدموعُ أسرية الكآبة والحزن، فتخرج من سجدتك بصدرٍ مُنشرحٍ لا ضَيِّقًا حرجًا كأنّما يصّعد في السمـاء!

تقول: «أعلم أنّ وراء هذا الكون خالقًا، ولكنّني متكبرٌ لدرجة عدم التصديق!». لكأنك كهذا العبد الذي هرب من سيده، وأخذ يبعد ويبعد حتى يخرج من ملك سيده؛ لأنه يأبى أن يكون عبدًا، ولكن العبد الآبق لا يدري أنّه مازال في ملك سيده، وأن سيره هذا ما هو إلاّ علامةٌ على رحمة سيده به، ولَوْ شاءَ سيِّدُه لأتى به مُسلسلاً بالسّلاسل، وعجبًا لقوم يدخلون الجنة في السّلاسل!!

أتظنـك كهذا العبد؟!

أظنّـك أحكم من أن تكون مثله يا أبا الحكم!

ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾؟

فأنت عبدٌ أسير، سِرْتَ ما سِرْتَ، وتكبّرتَ ما تكبّرتَ، فأنا وأنت عَبيدٌ لله، ولو شاء الله؛ لأخذك أخذ عزيزٍ مُقتدرٍ، لكنّه حليمٌ بك على بُعدك، يدلّك على مواضع الهداية على كبرك، فمالك تنأى؟! ولم لا تقول: «وعساك ربي ترضى»؟!!

لقد حدّثتك عن رسول الله ﷺ في المرّة السابقة، وكيف هو لا يكون إلاّ صادقًا، وكيف هو لا يكون إلاّ رجلاً لا يكذب على الله في أيِّ شيء، فتعال الآن أُحدِّثك عن رب الرسول ﷻ!

تعال إلى ربي وربك ورب العالمين أُحدّثك عنه!

إنّه اللهُ!

أظنُّني الآن في ورطة!! أتراني أُحدِّثك عن الله بما يكفي؟! سُبحانه لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه! لذا سأقتطف من ملكوت الله ما أدعُه يتحدّث عن الله خالقه، فأبرأتُ ذمّتي بأنْ جعلتُ غيري يتحدّث، بعد أنْ أبرأتُها بأنّ الحديث لن يكفي، وكيف عساه أن يكفي؟!



ومن أين أقتطف؟!

لن أبعد بك في ملكوت السماوات والأرض، بل تعالَ ـ معًا ـ في أعماق نفسك! أتعرف أنّ في جسدك محابس وصمّامات أمان؟! تعالَ أُحدّثك عن هذه الصمامات!

من أين أبدأ؟!

هل أبدأ من ذلك الصمام الذي يمنع الأكل حين تبلع أن يصل إلى الجهاز التنفسي بدلاً من أن يصل إلى المريء؟! إنّ هذه المنطقة يعمل بها أكثر من ١٠ عضلات، أتعرف عنها شيئًا؟! أتعرف أسماءها؟! أتعرف كيف تعمل؟!

رغم الجهل بها فإنّها تعمل! هذه العضلات تنقبض، فترفع القصبة الهوائيّة وتغلقها؛ وتُغلق الأنف من الخلف، فلا يمر الطعام لأعلى في الأنف، ولا لأسفل في مجرى التنفس، ولا يجد إلاّ طريقًا واحدًا وهو المريء!

فبالذي خلقك فسواك فعدلك من فعل هذا؟!

ثم تعالَ إلى صمّامٍ آخر!

صمامٌ يمنع الفضلات من المرور دون إرادة الإنسان، صمامٌ يحرس الشرج، صمامٌ داخلي وصمامٌ خارجي، الداخلي لا إرادي، وهذا الصمام يجعل القناة تحته فارغة، ولذا لا يتعب الصمام الخارجي الإرادي بطول العمل، ولا يمر الهواء بعد تراكمه رغمًا عن الإنسان!

والصمام الخارجي حتى الآن مازال علماء التشريح في حيرة من أمرهم، قالوا هو عضلةٌ واحدة، ثم قالوا أكثر، والآن قالوا ثلاث عضلات، تنقبض فتجعل القناة الهضمية في وضع زاوية حادة فلا يمر شيء! أهكذا فقط؟!

بل هذا الصمام يشعر بطبيعة المادة داخله، أهي غاز أم سائل أم صلب؟! فإن أحسه الإنسان غازًا؛ تصرف بحسب ذلك، وإن شعره صلبًا؛ تصرف بحسب ذلك، واللبيب يفهم بالإشارة! تخيّل لو كان الإنسان يتعامل مع المار في الشرج على أنّه غازٌ فوجده صلبًا؟! يا للفضيحة!

ثم تخيّل لو كان هذا الصمام غير موجود؟! يا للفضيحة!

ثم تعالَ معي إلى صمامٍ آخر!

الإفرازات المرارية من الكبد تصل إلى الحوصلة المرارية من خلال قناة الحوصلة، وتتجمع المادة في الحوصلة المرارية، وعندما يأتي الطعام في الأمعاء تنبعث إشارات عصبيّة وهرمونيّة إلى الحوصلة؛ فتنقبض، فيمر السائل المُخزّن إلى الأمعاء.

فالقناة المرتبطة بالحوصلة المرارية يمرُّ بها السائل في اتجاهين، القناة الوحيدة في جسمك التي يمر فيها السائلُ في اتجاهين!

فكيف حال الصمام الذي في هذه القناة الصغيرة الصغيرة؟! إنه صمّامٌ حلزوني الشكل! هذا الشكل الحلزوني يساعد السائل على المرور في اتجاهين!

فبالذي جعل لك عينين ولسانًا وشفتين، من خلق هذا؟!

ثم تعالَ إلى صمامٍ آخر!

صمامات القلب.. أتعرف عنها شيئًا؟! قصتها طويلة.. كيف شكلها؟! كيف حركتها؟! كيف إغلاقها؟! كيف تتناسق في العمل؟! ورُغم أنَّ الكثيرين لا يعلمون عن ذلك شيئًا؛ فإنّها تعمل!

تكفيك هذه الصمامات أم أزيدك؟!

الصمام الذي في الإثني عشر

الصمام الذي في الإثني عشر يتحكم في نزول السائل المراري إلى الأمعاء لإتمام الهضم، هذا الصمام مازالوا في حيرة من أمرهم في أمره، قالوا هو جزءٌ واحد، ثم قالوا ثلاثة، ثم قالوا أربعة..

من خلق هذا الذي حيّر العقول؟!

قلها معي: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾..

اكتفيتُ من الحديث عن الصمامات، فإنها - والذي خلقها وخلقك - كثيرةٌ كثيرة! فخبِّرني - أبا الحكم - عن المنطق الإلحادي هاهنا، ستجده منطقًا باردًا باهتًا حائرًا ليته يسكت دون منطق!

ستجده خيالاً يقول: «صدفـةً طائشـة»، ستجده سفاهةً تقول «طبيعةً غير عاقلة»، فتعال إلى المنطـق الحـق، والقـول الصـدق.

➜ التفسير الإسلامي: ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾! قُلها يا أبا الحكم! وما عليك أن تقول: «آمنتُ بالله» ثم تستقيم؟!

➜ التفسيرالإلحـادي: .... (لن تجد تفسيراً مُقنعًـا!).

بل تعـالَ نتعمـق في المسألـة:

الله ﷻ خلقنا، ولـم يتركنا هَمَلاً، وأحاطنا بالنِّعم كما ترى، فجسدك شهيدٌ عليك يوم القيامة، هذا الرب الرحيم الذي لم يخلقنا ويتركنا كما يدّعي السفهاء، هذا الرب الرحيم الذي لم يزل وحتى تقوم الساعة وبعد قيامها يحوطنا بالنعم والأفضال، وأسأل الله ألاّ تأتيك الساعة إلاّ وأنت مسلم!

هذا الرب يُدبِّر لك أمر الصمامات في جسدك، ثم يترك دعيًّا يقول: «أنا رسول الله إليكم»، ولا يفضحه ويتركك تنخدع به؟! كيف يكون ذلك؟!

إنَّ الأدعيـاء يقعون في التناقـض والكـذب، وتتضـح عليهـم علامات الدجـل، وتلـك سُنـة الله الكونيّـة فيهـم، انظر إلى غلام القاديانيّة الذي ادّعى النبوة كيف وقع في الفضيحـة تلـو الفضيحـة! وانظـر في أمر النصـارى حين حرَّفوا الكتـب، كيف انكشفوا وامتلأ الأمر بالتناقض، واتسع الخـرق على الراقـع!

فتلك سُنّة الله الرحيم الذي أحاطك بعنايته في جسدك ونفسك، ألاّ يدعَ كذابًا دَعيًّا يتكلّم باسمه ويتركه دون أن ينفضح أمره، ورزقك العقل الذي تعرف به هذا التناقض والدجل، فكما أحاطك بالرعاية في أمر دنياك؛ أحاطك بها في أمر دينك.

فالسؤال الذي سيقف في حلق المنطق الإلحادي:
لماذا لم يكن شيءٌ من ذلك مع رسول الله محمد صلّى اللهُ عليه وسلّمَ؟!

لقد أخبرتك في المرّة السابقة كيف أنّ النبي ﷺ صادق، وكيف كان سيتصرف أيُّ دَعيٍّ كذاب لو كان في مكانه، وكان تصرّف النبيِّ ﷺ على العكس من تصرُّف أيِّ كذاب، ذلك أنّه رسول الله ﷺ حقًّا وصدقًا!

والآن أخبرتك أنّ الرب الذي يحوطك بالعناية في جسدك؛ لن يترك دَعيًّا لئيمًا يتكلم باسمه دون أن يفضحه، وهذه سُنّة الله في خلقه، حدثت مع كبير بني قاديان، ومع مُسَيلمة الكذاب حتى صار الكذب وصفًا لازمًا له، وحدثت مع النصارى حين حرّفوا وبدّلوا، وحدثت مع اليهود حين حرّفوا وبدّلوا، ومع كلِّ مَنِ افترى على الله كذبًا.

فإن جمعتَ ما أخبرتُك به في المرة السابقة مع ما أخبرتك به في هذا المرة؛ وجدتَ أنّ المنطق الإلحادي ليس له حينها إلاّ الخرس، وإن تكلم؛ فاعلم أنّه أصم لم يسمع، وإن كان يسمع؛ فاعلم أنّه لا عقل له، وهذه هي الحال! المنطق الإلحادي كان على شفا جرف هارٍ وقد سقط فيه بالفعل!

لكنّ العجب الأكبر يا صاحبي: أنّ الله ﷻ لم يترك النبي ﷺ دون أن يُوقعه في شيءٍ ممّا حصل لكلِّ كذاب دَعيٍّ - ذلك أنّه رسول الله حقًّا - فحسب، ولكنه - فوق ذلك - أيّده و نصره!

نعم - والذي خلقك - أيّده ونصره، أيده بما لم يكن ليكون إلاّ من رب العالمين، كيف أيّده وكيف نصره بما لم يكن ليكون إلاّ من رب العالمين؟!

للحديث بقيةٌ بإذن الرحمن.



جـواب أبي الحكـم

الأخ الكريم حسام الدين حامد!

ما أجودك! وما أحسنك! يا أخي لا أدري ماذا أقول لك؟!

تفكّـرتُ بالأمـس بالمـوت، ولأول مـرة أفكـر بالمـوت، مع أنّني واجهت الموت عـدة مـرات، إلاّ أنّني لم أفكر به! يا أخي العزيز! صدقني لقد خفتُ الموت، ولأول مـرة يحصـل ذلـك!

واسمـع لي أن أقول لـك قصـة،
وليعلمها كلُّ الآخريـن علّهـم يأخـذون منها العبـر:

أنا ـ يا أخي ـ لم أفكر بالإسلام أبدًا، ولم أركع لله ركعة، ولم أقم بتاريخ حياتي بأداء أيٍّ من السلوكيّات العباديّـة التي تقومون بها بانتظـام..

ولكنّني ـ يا أخي ـ باختصار أعجبت بفتـاة..

وكانت نظرتي كلها بالحلال، وأردت خطبتها وكانت من الأخوات المحجبات، ولكنّها علمت عن طريق بعض الناس من المقربين لي، علمت حقيقتي، وعلمت أنّني ملحدٌ لا أعبد الله، ورفضتني بالمرة الأولى والثانية، ولكنها قالت لي حينما حاولت محادثتها، قالت لي: عندما تأتيني مُسلمًا قد أفكر فيك، ويا صديقي ويا أخي حامد! ذهبت الفتاة في طريقها وتزوجت، وأنا منذ تلك اللحظة ـ أي ما يقارب العام ـ وأنا أفكر بالإسلام، ولكنّني يا أخي لا أعلم عن الإسلام شيئًا سوى بعض المعلومات التي أخذتها بالمدرسة وبالجامعة.

لم أحصل على التعليم الإسلامي؛ لأنني بإحدى الجامعات التبشيريَّة المسيحية، يا أخي! انشغلتُ كثيرًا عن الاطلاع على الإسلام، وكل مرة أردت القراءة عنه أنشغل بعملي أو بشيءٍ آخر، ولكنِّي قرَّرت أخيرًا أن يحدثني شخص عن الإسلام، لقد رفضت أن أحادث الإخوة المتدينين الذين أعرفهم؛ لأنني خفت الشماتة، ولهذا جئتكم!

آسف يا أخي على هذه المقدمة الطويلة، ولكن أرجو أن تسمعني؛ لأنَّني بحاجة لمتنفس، أنا يا أخي قرأت الكتب التي تتحدث كثيرًا عن أنَّ الرسول محمد ليس سوى فيلسوفٍ مُطَّلعٍ على الكتابات التاريخيَّة، وأرى من خلال بعض التعاليم الإسلاميَّة أنَّها لم تأت بمزيد، وليست سوى إعادة لما سبقها من الأمور..

فمثلاً قانون «اللوغوس» الذي توصَّل إليه أرسطو، وهو أنَّ الإنسان خُلق من مادةٍ أولى، وقسَّم هذه المواد وهي أصل الأشياء إلى أربعة، وهي: «الماء/ الأثير/ التراب/ النار»، ومحمدٌ قال: إنَّ أصل الإنسان من صلصال كالفخار، رأيت أنَّه قال ما قيل قبله؛ فالصلصال مكونٌ من إحدى هذه المواد الأولية آنفة الذكر.

وفكرةُ أنَّ محمدًا لم يأتِ بجديد بدأت تكبر وتعظم في رأسي إلى أن آمنت بها، والآن لا أستطيع التخلي عنها، وجئتكم علَّكم تجيبون عن تساؤلاتي.

شكرًا لسعة صدرك يا أخي..

أعدك أن أتفكر في كل ما تقول. ■





ثالثا: العلـــم والقـــدرة





الله عزَّ وجلَّ يُؤَيِّد رسوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالعلم والقدرة

أبا الحكم!

لقد حدثتك عن صمامات الأمان والمحابس في جسدك، ولم أستقصها، وتركت لك الباقي تبحث عنه وتتأمل فيه، الصمامات التي توجه الدم إلى القلب في الأوردة في ضد اتجاه الجاذبية، والصمامات التي تمنع نزول البول، وغيرها، وغيرها.. أسأل الله أن يحفظ عليك هذه النعم! أرجو الله أن تظلَّ نعمه سابغة عليك وألا ينتزعها منك!

أرأيتَ إلى والدٍ أعطى ولده شيئًا، فظلَّ الولد يبغي به على أخواته، ويسيء استخدامه، فانتزعه منه أبوه مرةً أخرى؟! سبحانك ربي ما أحلمك! سبحانك ربي ما أرحمك! أرأفُ بنا من آبائنا وأمهاتنا! سبحانك يا من أعطيت أبا الحكم مفصل المرفق، تعرفه يا أبا الحكم؟!

المفصل الذي يسميه الناس «الكوع»، تخيَّل يا أبا الحكم لو كان هذا «الكوع» غير موجودٍ في يدك، وكانت يدك مستقيمة، وأردتَ أن تأكل، كيف كنت ستوصل الطعام إلى فمك؟! كيف كنت ستأكل يا أبا الحكم؟!

لن تجد طريقةً للأكل إلاَّ أن تغوص في الأكل بفمك كالبهائم! الحمد لله الذي كرَّمك، وأعلى شأنك أن يكون هذا حالك! سبحانك ربي ما أحلمك!

نسيتُ أن أسألك: كيف حالك؟!

أرجو أن تكون بخير، ولا خير فيمن لم يعرف ربه فهام على وجهه، قال الله ﷻ: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾!

تقول: «أعلم أنَّ وراء هذا الكون خالقًا، ولكنَّني متكبرٌ لدرجة عدم التصديق!».

ولِم ذاك يا أبا الحكم؟! ما يضر كبرياءك إن أنت أقررت لخالقك بفضله عليك؟! بل على العكس، عبادتُك لله تُحرِّرك من رقِّ كُلِّ مخلوق، سواءً أكان المخلوق شهوةً، أو شهيةً، أو نزوةً، أو صديقًا غويًّا، أو صاحبًا، أو غيره، فما لك تهرب من عبادة الله إلى شركاء كُثر، كلٌّ يبغيك لعبادته دون أن تكون له منةٌ عليك؟!

لِمَ تريد أن تكون ممَّن:

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ... وَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ؟!

لِمَ لا تريدُ أن تنادي:

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَفَخْرًا ... وَكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ: «يَا عِبَادِي» ... وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا!؟

أليس هذا النداء نداءَ حقٍّ يُشرِّف؟!

سبحانك ربي ما أحلمك!

لماذا تتكبر؟

أتريد أن تكون كما قال سارتر: «لا يليق بالمثقف إلاَّ أن يكون معارضًا»؟!

إياك يا أبا الحكم! فهذا كلامٌ لا قيمة له، وليست المعارضة دائمًا هي الصواب، ومعارضة الإيمان خطأٌ كلُّها، وباطلةٌ كلُّها، وضلالةٌ كلُّها، ومَهلكةٌ كلُّها!

ألم يأتك نبأ من تكبَّر يا أبا الحكم؟!

إنّه إبليس الذي تكبَّر على أمر الله ﷻ، فجاءه النداء: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾، اقرأ: ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾، فخرج إبليس؛ لأنَّ الله تعالى جعل من سُنَنِه الكونيَّة ألاَّ يتكبر أحدٌ في السماوات، من يتكبَّر في السماوات يُطرد منها، فما لك تتكبر في الأرض؟! أَلأنَّ الله لم يجعل من سُنَنِهِ الكونيَّة أن من تكبَّر في الأرض يُطرد منها؟! أغرَّك حلمُ الله عليك؟! ماذا لو جاءك نداء الله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، أين ستذهب؟!

سبحانك ربي ما أحلمك! جعل سنته في الأرض ألاَّ يُعاقب من يتكبَّر عليه، بل خلقه ورزقه، وأوجد فيه الفطرة - الفطرة التي تدلُّ الطفل على أنَّ لكُلِّ فعلٍ فاعلاً -، ثم أوجد فيه العقل الذي يُميِّز به السقيم من الصحيح!

ثم ماذا؟! هل هذا وفقط؟! لا!

بل أرسل إلينا الرُّسل حتى تقوم الحُجة علينا كاملة!

ثم ماذا؟! هل هذا وفقط؟! لا!

بل لن تُعاقَب حتى تصلك حُجَّة الرسل ورسالتهم وتسمع بهم!

ثم ماذا؟! هل هذا وفقط؟! لا!

بل إن أعرضت تركك، ثم تركك، ثم تركك...

فإن أصررت على الإعراض؛ عاقبك بأن يختم على قلبك، قال الله ﷻ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

أخشى أن تُعرض؛ فيُختم على قلبك يا أبا الحكم، واللهِ أخشى عليك! وسبحان من يُحيي الأرض بعد موتها، فاصدُق الله يصدُقك!

مالي أطلت في هذا الباب؟!! ألم أقل لك إني سأطوف بك وأدخل عليك من أبواب متفرقة؟!

المنطـق الإلحـادي

تعالَ أدخل عليك من باب «المنطـق الإلحـادي»! ذلك المنطق الفاسد، الذي يجعل أحد الصادقين في زماننا يقول إنَّه رسولٌ من عند الله كاذبًا!

ذلك المنطق الذي يجعل الكاذبين يستحون أن يستغلوا الفرص؛ لنشر دجلهم!
ذلك المنطق الذي يعبد الصدفة العمياء، والطبيعة الصماء!
ذلك المنطق الذي يقول: «إنَّ الله تعالى خلقنا وتركنا»!
وهو يرى كيف يحوطنُا الرحمن بعنايته ورعايته!
ذلك المنطق الذي يزعم أنَّ الله يترك دَعيًا كذابًا يتكلّم باسمه دون أن يفضحه!
أليس هو ذاك؟!
بلى واللهِ!

فهم يقولون: «إنَّ النبي ﷺ - وهو الصادق الأمين - زعم أنَّه رسولٌ من عند الله كذبًا»، وحاشاه من الكذب..

ثــم يقولون: «إنَّه بعد أن زعم ذلك لم يستغل الفرصة للترويج لنفسه يوم كسفت الشمس يوم موت ابنه، بل أبطل هذه الفرصة ونفاها»، فحاشاه من الكذب، وحاشاه..
ثــم يقولون: «إنَّ الذي خلق الإنسان بهذا الإحكام هو صدفةٌ بكماءُ، أوطبيعةٌ صماء»!
ثــم يقولون: «إنَّ خالق الإنسان تركه بعد أن خلقه»! وهم يرون في أنفسهم عناية الله تحوطهم رغم كفرهم! فما أرحمك ربي!
ثــم هم يزعمون: أنَّ الله ﷻ يترك دَعيًا كذابًا يتكلّم باسمه دون أن يفضحه!
ثــم يعجزون عن تفسير ما وراء المادة!

وصدق كلود برنار حين قال: «الماديَّة التي تُؤكِّد أنَّه لا وجود وراء المادة؛ فإنَّها تتخلى عن العلم»! تعسًا لمنطقٍ هذا أساسه! وبئست العقول تلك!

النــور واليقــين:

دع عنا باب «المنطق الإلحادي» هذا! فداخله خـرابٌ تصفر فيه الريـاح، تعالَ إلى النــور واليقــين!

لقد أخبرتك أنّ الله ﷻ أيَّد نبيَّه ﷺ، ونصره بما لا يكون إلاّ من رب العالمين ﷻ، وسأعطيك مثالين على ذلك، والأمثلـة كثيــرة.

المثـــال الأول:

اقرأ معي ما يقول جان شارل سورنيه: «كان مذهب أرسطو الذي تمّ تعديله قليلاً على يد سورانوس الإيفزي في القرن الثاني ما يزال مهيمنًا على مجال التكاثر الإنساني: تتكون نطفة الرجل من رجالٍ صغارٍ تم تشكيلهم بالفعل، ولا يُمثّل رحم المرأة سوى مأوى غذائيٍّ لهم، غيـر أنّ هارفي عمل على دراسة أنـواعٍ عديـدةٍ من الحيوانات في مراحلَ مختلفةٍ من مراحل تطورالأجنّة، واستنتج أنّ الكائن الحي يُولد من بويضة، وأنّ هذا المبدأ العام ينطبق على الحيوانات الولودة أو التي تبيض، ورُغم ذلك ـ ونظـرًا لأنّ الفحص بالعين المجردة قاصرٌ بالضرورة ـ، فقد شعر هارفي في أخريات أيامه بالندم؛ لأنّه لم يستطع أن يحلّ لغز التناسل مثلما فعل من قبل مع الـدورة الدمويــة» تاريخ الطب: ١٨٤.

معذورٌ هـارفي! معـــذور! فالبحث بالعين المجـردة لم يكن كافيًـا لكي يحلّ لغز التناسـل، لكنّ النبي ﷺ بلّغ عن ربِّه ما عرفنا به كثيرًا عن لغز التناسـل، فكيف عرف ذلك؟! لقد كانت نظريّة الإنسان القزم هي السائدة في ذلك الحين، ولم يتوصل هارفي لمعرفة لغز التناسل على ما حدث من تطورٍ في العلوم على أيامه، فكيف عرف النبي عن هذا اللغــز؟!

بل كان ما جاء به النبي ﷺ مخالفاً لما كان سائداً عند الأطباء في ذلك الحين، بل استمر الأطباء على خلاف ما أخبر به النبي ﷺ حتى سجَّل ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ بقوله: «وزعم كثيرٌ من أهل التشريح أنَّ مني الرجل لا أثر له في الولد إلاَّ في عقده، وأنَّه إنَّما يتكون من دم الحيض، وأحاديث الباب تبطل ذلك».

فخبرني يا أبا الحكم!

رجلٌ يخبرنا عن لغز التناسل بخلاف السائد في عصره، وليس عنده من الأدوات ما يكفي ـ وانظر حال هارفي ـ، ويظلُّ كلامه مخالفاً كلام أهل التشريح حتى بعد مضي قرون، رجلٌ ـ بروحي هو ﷺ ـ يتكلَّم هكذا، ثم نجد أنَّ كلامه حقٌّ كلّه، صدقٌ كلّه، لا خطأ فيه! من أين جاءه هذا الخبر؟! تعالَ أقص عليك الخبر!

❁ أولاً: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾.

❁ ثانياً: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾.

الآن سأنقل لك المعاني كما ذكرها أهل اللغة لا أهل التفسير:

← العَلَقَةُ: «كلُّ دمٍ غليظٍ علَقٌ، والعَلَقُ دُودٌ أسود في الماء معروف، الواحدة: عَلَقَةٌ، وعلق الدابة علقاً: تعلَّقت به العَلَقة» [لسان العرب].

فهذه العلقة: جامدةٌ في طبيعتها ـ لونُها أحمر بسواد ـ تتعلَّق بجدار الرحم، تمتصُّ منه غذاءها كما يمتصُّ العلق من الدابة غذاءه.

← المُضغةُ: «القطعةُ من اللَّحم» [لسان العرب]، و«قال ابن الأعرابي: مُخلَّقة قد بَدَا خَلْقُها، وغيرُ مُخلَّقة لم تصوَّر» [لسان العرب].

۞ ثالثًا: قال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ الْمَلَكَ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: رِزْقِهُ، وَعَمَلَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» (رواه مسلم).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «الَّذي يُجمع هو النطفة، والمرادُ بالنطفة هو المني، وأصله الماء الصافي القليل، والأصل في ذلك: أنَّ ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة بالجماع، وأرادَ الله أن يخلق من ذلك جنينًا هيَّأ أسباب ذلك».

۞ رابعًا: قال ﷺ: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً؛ بَعَثَ اللهُ مَلَكًا فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا، وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ! أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ.... الحديث» (رواه مسلم).

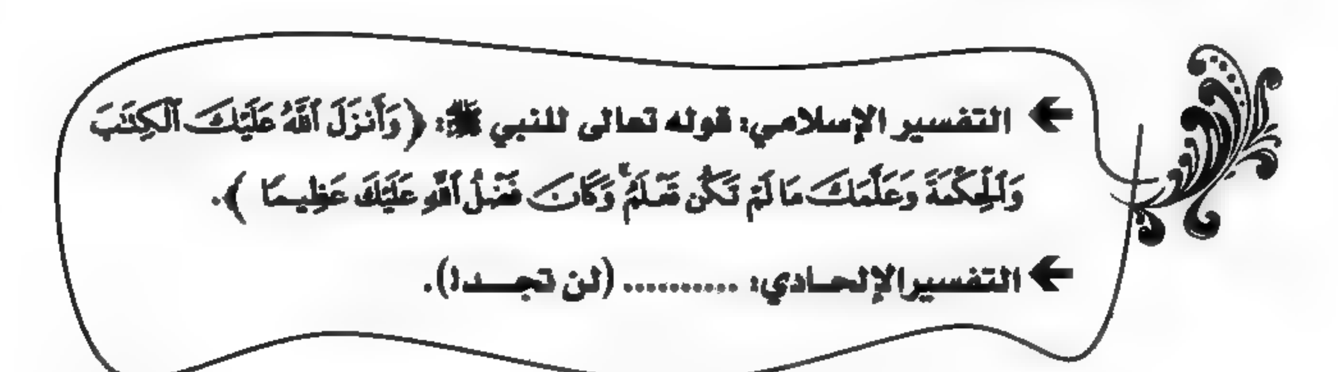
سأكتفي بالنصوص الأربعة السابقة، ونفهم منها:

(١) الجنينُ يكون من ماء الرجل والمرأة.
(٢) يتمُّ جمع الماءين إن قدَّر الله تكوين الجنين.
(٣) في خلال أربعين يومًا: تتكوَّن النطفةُ والعلقةُ والمضغةُ وكلُّها مجموعة الخلق تامته.
(٤) مكان حدوث ذلك هو الرحم.
(٥) العلقة: هي مرحلة بعد «جمع النطفة» تلتصق بجدار الرحم، كما تلتصق العلقة بالدابة، وتمتص منها الغذاء، كما العلقة تمتص الغذاء من الدابة.
(٦) المضغة: مرحلة بعد العلقة تكون عبارة عن قطعة لحم، وهذه المرحلة تكون فيها قطعة اللحم غيرَ مُخلَّقة، ثم تكون مُخلَّقةً، أي: بَدا خَلْقُها، وهو ما يُعرف في علم الأجنة بظهور: somites.
(٧) بداية تصور السمع والبصر والجلد واللحم والعظم تكون من حوالي الأسبوع السابع فصاعدًا.

(٨) أعضاء الذكر أو الأنثى التناسليَّة تبدأ في التكون من حوالي الأسبوع السابع فصاعدًا، حتى لو كانت الكروموسومات من نوع (XY)؛ فإنَّه لابُدَّ من وجود إنزيمات مُعيَّنة حتى تتكوَّن الأعضاء التناسلية، فقد يكون الكروموسوم (Y) موجودًا ولا تتكوَّن الأعضاء التناسليَّة الذكريَّة، فتحديد الجنس من خلال الأعضاء التناسلية لا يكون إلاَّ في الفترة المذكورة أعلاه.

خبرني الآن يا أبا الحكم!
من أخبر النبي ﷺ بهذه الأمور؟!

لم يكن الناس حوله يقولون إلاَّ بنظريَّة الإنسان القزم، هذه المعلومات الدقيقة لا تأتي صدفة، كيف وصل ﷺ إليها؟! ولولا ضيق الوقت لأريتك العجب، فالنصوص كثيرةٌ في هذا المجال، وتراه ﷺ لا يُجانب الصواب في أي شيءٍ منها، فمن أنبأه ﷺ بهذا؟!



المثال الثاني:

ثم تعالَ إلى المثال الثاني:

يقول ج. ويلز: «ثم ما لبث نجم البدو أن سطع بباهر الضياء مدة قرنٍ واحدٍ وجيزٍ حافلٍ بالأبهة والفخامة، مدوا في أثنائه حكمهم ولغتهم في بلاد الأندلس حتى حدود الصين، ومنحوا العالم ثقافةً جديدة، وأقاموا عقيدةً لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيويَّة في العالم» تاريخ العالم: (٢٠٨).

فخبرني يا أبا الحكـــم!

وهذه شهادةٌ غير منصفةٍ فيها إغماضٌ لقرونٍ طوالٍ عراضٍ جعلها قرنًا واحدًا، لكن سأقبلها على عُجرها وبُجرها، خبِّرني والحالة هذه: كيف لرجلٍ - بروحي ونفسي هو ﷺ - في قومٍ بدوٍ يعلمهم ويربيهم في سنواتٍ قلائل - في عمر الأمم -، فإذا بهم ينشرون عقيدتهم ويأتون على القياصرة والأكاسرة؟!

دائمًا ينتهي حال الأدعياء بالفضيحة! بأيّة وسيلةٍ كانت!

لكنَّ المسلمين وصلوا وبنوا مجدًا في فترةٍ وجيزة، ذلك عندما أقاموا دينهم على وجهه، ومن العجب - والعجب كثيرٌ في المنطق الإلحادي - أنَّ المسلمين عندما تخلَّوا عن دينهم ضاع عِزُّهم بقدر ما تخلَّى مجموعهم عن الدين!

ومن ضمن ذلك ما ذكرتَه: «... في سنتي الجامعيَّة السادسة؛ لأنَّ الاحتلال أبعدني قسرًا عن مقاعد الدراسة عامًا ونصف بسبب الاعتقـال»...

وذلك من العقوبة التي حذَّرَناها ربُّنا ﷻ إنْ خالفنا أمر النبي ﷺ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

ثم من العجب - والعجب في المنطق الإلحادي كثير - أن يقولَ ﷺ:

«يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فقال قائلٌ: «ومن قلةٍ نحن يومئذٍ؟»، قال: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ!»، فقال قائلٌ: «يا رسول الله! وما الوهن؟»، قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ!» (صححه الألباني).

ثم من العجب - والعجب من المنطق الإلحادي لا ينقضي - أن يخبرنا النبي ﷺ بحلِّ ما نحن فيه:

«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ شَيْءٌ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (رواه الألباني في صحيح الجامع).

فالآن جاء دورك يا أبا الحكم!

۞ أتجد المنطق الإلحادي مُقنعًا في وصف النبي ﷺ بأنَّه ليس بنبي؟! قال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾!!

۞ أتجد المنطق الإلحادي مُقنعًا في قوله: «إنَّ عجائب قدرة الله في جسدك وفي الكون محض صدفة لا تُعقل»؟! قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾.

۞ أتجد المنطق الإلحادي مُقنعًا حين قال: «إنَّ الله خلق الكون وتركه»، ونحن نرى آثار رحمة الله تملأ الأكوان؟! قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾.

۞ أتجد المنطق الإلحادي مُقنعًا حين يُؤمن أنَّ رب العالمين يترك دَعِيًّا يتكلَّم باسمه ولا يفضحه؟! قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾.

۞ أتجد المنطق الإلحادي مُقنعًا حين يقف أمام كلام النبي ﷺ عن التناسل؟! قال تعالى: ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾.

۞ أتجد المنطق الإلحادي مُقنعًا حين يقف أمام التاريخ وهو يشهد أنَّ أمةً من البدو ملكوا العالم لمَّا استمسكوا بدينهم، ثم ذُلُّوا لمَّا تركوا دينهم؟! قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

أزيدُك أم تجيبُني؟! أنتظر جوابك!



جواب أبي الحكم

لا أريد الإجابه بقدر ما أعجبتني القراءة.

زدني يا أخي العزيز، زدني ممَّا تعلَّمت عبر السنين. ■





رابعـا: صفقـة ثقيلـة!





صفقةٌ ثقيلةٌ!

أبا الحكـم!

تقـول: «أعلم أنَّ وراء هذا الكون خالقًا، ولكنَّني متكبرٌ لدرجة عدم التصديق»!

لقد كنتُ أدعو لك في سجودي بالهداية، إي نعم! كنت أدعو مَن بيده مفاتيح مغاليق القلوب أن يشرح قلبك! وتمنَّيـتُ..

وتمنَّيتُ ألَّو كنتَ بجانبي تسجد هذه السجدة فتبكي، ويهيجني بكاؤك على البكاء، عسى ربنا أن يغفر لنا خطايانا!

تمنَّيتُ أن لو سجدتَ لله سجدة تقول له فيها: «رَبِّ اغفر لعبدٍ جَثَا فوق التـراب»!

تمنَّيتُ ألَّو كان هذا الكبر الذي حال بينك وبين ربك جدارًا؛ فهدمتُه، أو ثوبًا؛ فمزقته، أو حتى جبلاً؛ فلنسفتُه! وأخذني خاطرٌ طغى عليَّ، ماذا لو متُّ قبل أن يُسلم أبو الحكم لله ربي وربه ورب العالمين؟!

ثم قلت: أي نفسي! وما عليَّ إن متُّ وقد بلَّغته ممَّا علمني ربي؟! فإن أسلم؛ لقيته في الجنة - بفضل ربي - أبثه من حلو الكلام وبثي؟! وإن كانت الأخرى؛ فما لي آسى على مَن تكبر على خالقه؟!

ولكـن نفـسي ردَّت عليَّ بخاطـرةٍ أخـرى!

لكن ماذا لو مات أبو الحكم قبل أن يُسلم لله عزَّ وجلَّ؟! انظر إلى الذين ماتوا على الإلحاد شبابًا يا أبا الحكم!

انظر ثمَّ أخبرني يا أبا الحكم:
هل تتمنى أن يكون هؤلاء قد ماتوا على الإسلام، أم الإلحاد؟!

أخبر نفسك وأخبرني يا أبا الحكم:
هل تتمنى أن يكون هؤلاء ماتوا على الإسلام، أم الإلحاد؟!

أخبر نفسك يا أبا الحكم:
هل تتمنى أن يكون هؤلاء ماتوا على الإسلام، أم الإلحاد؟!

ثم سَلْ نفسك بعد أن تخبرها: ماذا لو كنتُ مكانهم؟! أكنتُ أتمنى أن أكون قد متُّ على الإسلام، أم الإلحاد؟! هه؟! فما لك تتأى؟! قُلها ولا تخف: «أَشْهَدُ أَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»!

وما عليك إن قلتها، ثم استقمت؟! ثم ما عليك إن قلتها، ثم متَّ؟! ثم ما عليك إن أخذتك إلى الجنة؟! فمالك تتأى؟! أتظنُّ الموت لن يأتيك؟! واللهِ إنَّه آتيك! ولن تُعجز اللهَ في الأرض ولن تُعجزه هربًا!

ألم تسمع قول الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ! أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا؟ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَّلْتُكَ، مَشَيتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وَلِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِيَ؛ قُلْتَ: «أَتَصَدَّقُ!»، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟!».

وكلُّ إنسانٍ يعرف ما هذه التي خُلق من مثلها.
فما لك للأرض منك وئيد؟!
أتظنُّ روحك لن تبلغ التراقي؟!
والله ستموت!
هذا أوانُ التوبة؛ فاقبل، اقبل قبل أن تتمنى؛ فلا تجد!

قال اللهُ خالقي وخالقُك ﷻ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

نسيتُ أن أسألك: كيف حالك؟!

علّك بخير! علّ صمامات الأمان والمحابس في جسدك مازالت تعمل.. علّ مفصل المرفق مازال يعمل.. علّ العضلات الصغيرة التي تحرك أصابعك للكتابة على لوحة المفاتيح مازالت تعمل.. والأعصاب التي تغذي هذه العضلات مازالت تعمل.. والمراكز العصبية التي منها تخرج هذه الأعصاب مازالت تعمل.. والأفكار التي من خلالها تكتب مازالت تأتي.. علّ نِعَمَ اللهِ مازالت سابغة عليك ظاهـرًا و باطنًـا!

الحمد للهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى، ها أنا أحمد الله على نِعَمِه عليك، ورحمته بك، وحلمه عليك، فأين أنت من هذا؟! أمازلتَ على كبرك؟! أم آن أوان الاعتراف والشكر؟!

تعالَ أدخل عليك من بابٍ جديد!

تعالَ ندخل من باب الجامعات التبشيريَّة التي دخلتَها، والكتب التي قرأتَها. تعالَ ندلف إليها بسلاح الحق ونور اليقين، ونُبدِّد ظلماءَ غشت القلوب ورانت على العقول، فلَعلّ وعسى!

صفقـةٌ ثقيلـةٌ!

> تقول: «قرأتُ الكتب التي تتحدّث كثيرًا عن أنّ الرسول محمدًا ليس سوى فيلسوفٍ مُطّلِعٍ على الكتابات التاريخيَّة وإرى من خلال بعض التعاليم الإسلاميَّة أنّها لم تأتِ بمزيد، وليست سوى إعادة لما سبقها من الأمور».

فسأعرض عليك صفقـة..

أخدعوك عن عقلك، فقالوا: «إنَّ النبيَّ ﷺ فيلسوفٌ ادَّعى كذبًا أنَّه رسولٌ من عند الله»؟! أخدعوك فانخدعت لهم؟! فتعالَ أعرض عليك صفقةً ستجعلك «الفيلسوف الكذاب»! تعالَ وأخبرني ما رأيك في هذه الصفقة، أداخلةٌ هي في سياج العقل، أم غير معقولة؟!

الفيلسوف الكذاب

أريـدك أن تكون الفيلسـوف الكـذاب..

تعـالَ عبر الأزمـان والأمكنـة، وبأقصى سرعـةٍ مُمكنـة، إلى قريشٍ في مكـة، إلى قومٍ بلغوا في البلاغة شأوًا لا يُوصل، وأقاموا للأشعار سوقًا لا يُوصف، فهذا يقف يرتجل قصيدة، وذاكم يقف يردُّ عليه ارتجالاً، وقصيدة من هذا ومن ذاك طيبة حلـوة، لها في البلاغة شأنٌ عالٍ!

تعالَ إلى قـومٍ أقامـوا على الأصنـام سادنًـا مع سـادن!
تعالَ إلى قومٍ مصدر اقتصادهم الأصنام حول الكعبـة
يأتيهـا الرجـال والنسـاء فتنشـط التجـارة!
تعـالَ إلى قـومٍ هـذا حالهـم..

الآن: لنبـدأ..

۞ أريد منك أن تظلَّ في قومك أربعين سنةً صادقًا أمينًا..

← أريد منك أن تكون «تصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».
← أريد منك أن تكون أُمّيًّا لا تقرأ ولا تكتب.
← أريد منك أن تكون يتيمًا ليس لك والدٌ يطوف بك في البلدان، وليس لك معلمٌ يخبرك عن أخبار اليونان والرومان.
← أريد منك أن ترعى الغنم حتى تتعلَّم الحنو على المرعيِّ.
← أريد منك أن تترك الوفود على عبادة الأوثان مع قومك.

ثم فجأة.. في سن الأربعين.. تعلن ـ كاذبًا ـ «أنا رسول الله»!
أهـذا في حدِّ المعقـول عنـدك؟!! ... لا بـأس.

۞ ثم أريد منك أن تخرج على قومك وهم على أصنامهم عكوف،

← وتعلنها صريحة: «إنّي رسول الله إليكم»؛ فيسخر منك قومك، وينهرك عمُّك، وتُسمِّيك زوجة عمك «أبو الرمم» مكان «أبو الحكم».

استصبر بعدها على دعوتك وأنت تعلم أنّك كذاب؟!

أهذا في حدِّ المعقول عندك؟!! ... لا بأس.

۞ ثم أريد منك أن تتحدى قومك!

← ويا ترى ما الذي تختاره لتتحداهم فيه وأنت تعلم أنّك كذاب؟! لعلّك تختار شيئًا لا يُتقنونه، تختار التنجيم مثلاً، أو الفلك، أو الطب، أو استقصاء الأثر!

← لا، بل أريد منك أن تختار أقوى شيءٍ وصلوا إليه!

← نعم..! أريد منك أن تتحداهم فيما خطر في ذهنك، أريد منك أن تتحداهم في البلاغة واللغة، تتحداهم في أقوى ما عندهم وأنت تعلم أنك كذاب!

أهذا في حدِّ المعقول عندك؟!! ... لا بأس.

۞ ثم أريد منك أن تأتي بكلامٍ تتحداهم فيه..

← ليس هذا فقط، بل تتكلم بأسلوبين من الكلام، أسلوبٌ هو: «القرآن الكريم»، لا يُوجد أبلغ منه في كلام البشر، وأسلوبٌ هو: «الحديث الشريف»، لا يوجد أبلغ منه في كلام البشر!

← لكن حاذر؛ فالقرآن أبلغ منه!

← فتسير بين الناس تتكلم بأسلوبين، أحدهما أبلغ من الآخر، وكلاهما أبلغ من سائر الكلام!

أهذا في حدِّ المعقول عندك؟!! ... لا بأس.

۞ ثم يكون الكلام حسب الحـــوادث..

← فعندما يظلم أحد المسلمين يهوديًّا تتكلم بأسلوبٍ بليغٍ لا يُوجد في كلام البشر أبلغ منه لتنتصر لليهودي من المسلم، وعندما يتركك أصحابك في حينٍ من الأحايين تتكلم بأسلوبٍ بليغٍ لا يُوجد في كلام البشر أبلغ منه لتُحذِّر أصحابك..

← أوَه!! فكأنك لا تستطيع أن تُعد هذا الكلام سلفًا في الأربعين سنة التي ظللت فيها قبل الكذب؟! إي نعم! لن تستطيع إعداد الكلام سلفًا، بل ستتكلم وتجاري الأحداث بكلامك، فعليك بهذا الكلام البليغ جدًّا، والذي يأتيك عند كل حادثة، وفي كل مرَّةٍ يكون كلامًا لا يُوجد في كلام البشر أبلغ منه، بل وتتحدى بهذا الكلام أفصاح العرب وأساطين اللغــة.

أهــذا في حدِّ المعقــول عنــدك؟!! ... لا بــأس.

۞ ثم أريدك أن تصبر، نعــــم..!

← تصبر وأنت كذاب!
← عندما يُسفِّهون عقلك؛ فاصبر!
← وعندما يقولون: «كذابٌ»؛ فاصبر!
← وعندما يقولون: «شاعرٌ»؛ فاصبر!
← وعندما يقولون: «كاهنٌ»؛ فاصبر!
← وعندما يقولون: «فيلسوفٌ»؛ فاصبر!
← وعندما يخرجك قومك؛ فاصبر!
← وعندما يضعون على ظهرك سَلاَ الجزور؛ فاصبر!
← وعندما يهجرك أهلُك؛ فاصبر!
← وعندما يحاولون قتلك؛ فاصبر!
← وعندما يخنقونك خنقًا؛ فاصبر!
← وعندما يُسَيِّرون خلفك السفهاء؛ فاصبر!

أتستطيــع الصــبر علــى كــل هــذا وأنــت كــذاب؟!
أهــذا في حدِّ المعقــول عنــدك؟!! ... لا بــأس.

۞ ثم أريدك أن تصمد، نعـــــم..!

← تصمد وأنت كذاب!
← إن قالوا: «نعبد ربك عامًا وتعبد آلهتنا عامًا»؛ فارفض!
← إن قالوا: «لك ما تشاء من الملك»؛ فارفض!
← إن قالوا: «نسكت عنك إن سكتَّ عن آلهتنا»؛ فارفض!
← إن قالوا: «لك ما تشاء من التطبيب، والأموال، والمغانم»؛ فارفض!
← إن قالوا: «لك أموال التجارة كلها»؛ فاصمد، اصمد!

أتستطيـع الصمـود أمـام كُلِّ هـذا وأنـت كـذاب؟!
أهـذا في حدِّ المعقـول عنـدك؟!! ... لا بـأس.

۞ ثم أريدك أن تَحْذَرَ، نعـــــم..!

← احذر فلكل كذابٍ هفوة!
← احذر؛ فقد قالوا: «إذا كنت كذوبًا؛ فكن ذكورًا»، فنساك تنسى كلمةً قلتها فتأتي بغيرها بعد حينٍ تناقضها، فيظهر كذبك، أريدك أن تظل ذكورًا لا تنسى طول عمرك، لا يتناقض قولك، ولا يختلف فهمك!
← أريدك أن تتكلَّم في آلاف الآيات، وآلاف الألوف من الأحاديث؛ فلا تتناقض، ولا تضطرب، ولا يظهر كذبك!
← أريدك أن تعامل أصحابك كلَّهم، فلا يقف واحدٌ منهم على كذبةٍ لك، فضلاً عن أن يقف مجموعهم على هذه الكذبة!

أتستطيع أن تحـذر هـذا الحـذر؟!
أهـذا في حدِّ المعقـول عنـدك؟!! ... لا بـأس.

۞ ثم أريدك أن تحتاط لنفسك!

← لا تكتفِ «بالتمثيل» وأنت أمام الناس، بل أريدك أن تظلَّ على حالك وأشد منها في بيتك!
← أريدك في بيتك أن تقوم بالليل، وتترك أهلك، تقوم لتَصُفَّ قدميك بين يدي ربك، وأنت تعلم أنك كذاب!

← أريدك أن تترك الفراش ليلاً وتذهب إلى المقابر، وتقول: «إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي بِهَذَا»، وأنت تعلم أنَّك كذاب!

← أريدك أن تبكي وعندما يسألك الداخلون عليك عن سبب بكائك، تقول: «أُنْـزِلَ عَلَيَّ آيَـاتٌ جَعَلَتْنِي أَبْكِي»! لاحظ أنَّك لم تكن تعلم أنَّهم سيدخلـون عليـك!

← أريدك أن تحتاط لنفسك؛ فتقوم في الليل لعبادة ربِّك حتى تتورَّم قدماك، مع علمك أنَّك كذاب!

← أريدك أن تحتاط لنفسك؛ حتى تقول عنك زوجتك «كَانَ قُرْآنًا يَمْشِي»!

أتستطيع بلوغ هذه الدرجة من الاحتيـاط وأنـت كـذاب؟!
أهـذا في حدِّ المعقـول عنـدك؟!! ... لا بـأس.

❁ **أريدك صادقًا مع نفسـك والنـــاس..**

لكن كيف يكون ذلك وأنت كذاب؟! لا أدري!

← عندما تتكلَّم عن الأرض، والشمس والقمر، والنجوم والكواكب: تتكلَّم بما تعلم أنَّه هو هو عين الموجود، وإن خالفك قومك!

← عندما تتكلَّم عن البحار والأنهار، والشجر والدواب: تتكلَّم بما تعلم أنَّه هو هو عين الموجود، وإن خالفك قومك!

← وعندما تتكلَّم عن أخبار الأولين وقصصهم: تتكلَّم بما تعلَّم أنَّه هو هو ما كان موجودًا، وإن خالفك اليهود والنصارى من حولك!

أتستطيع أن تبلغ هذا الدرجة من الصدق والعلم وأنت في الأصل كذاب؟!
أهـذا في حدِّ المعقـول عنـدك؟!! ... لا بـأس.

❁ **ثم أريدك أن تتخلَّى عن كذبـك في أفضل الظروف للكذب..**

وتتكلَّـم أحـوج ما يلـزم كـــذابٌ السكــوت!

← إن سألك قومُك عن موعد الساعة؛ فقل: «لا أدري»، وقل: «علمها عند ربي»!

← إن سألك قومُك عن موعد هزيمة الروم للفرس، فقل: «في بضع سنين»!

← ولاعليك إن مرت السنون ولم يحدث ما قلت، فكل ما سيحدث أن ينكشف كذبك، وينقلب عليك صحبك، ويشمت بك عدوك، ويهجرك أهلك، وعلى اختلاف تصرفاتهم فسيُجمعون على وجوب قتلك.. لا عليك! وماذا إن قتلوك؟! بسيطةٌ هي!! بسيطةٌ على كذاب!!

← إن رأيت الشمس تنكسف يوم موت ولدك؛ فلا تسكت، ولا تؤكِّد أنَّها انكسفت من أجله، بل أعلن أنَّها: «لاَ تَنْكَسِفُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ حَيَاتِهِ»!

أيستطيع دجالٌ أن يفعل مثل هذا؟!
أهذا في حدِّ المعقول عندك؟!! ... لا بأس.

۞ ثم أريدك أن تُسلِّي نفسك بالكذب!

← عندما يحرسك أصحابك: تذهب إليهم، وتقول: «اذْهَبُوا إِلَى مَضَاجِعِكُمْ؛ فَسَيَحْرُسُنِي رَبِّي، فَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)»!

← وعندما يشمت بك عدوٌ تُسلِّي نفسك بالكذب، فتقول: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)!

← وعندما تقف في المعركة وحدك أمام جيشٍ عرمرم تقول: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ»!

أتستطيع تسلية نفسك بالكذب، وأنت تعلم أنَّك كذاب؟!
أهذا في حدِّ المعقول عندك؟!! ... لا بأس.

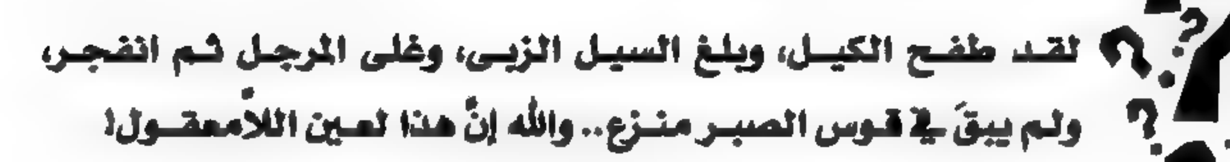
۞ ثم أريدك أن تكون عالمًا علامةً..

تأتي بما لم يأتِ به هاربٌ من بعدك بمئات السنين!

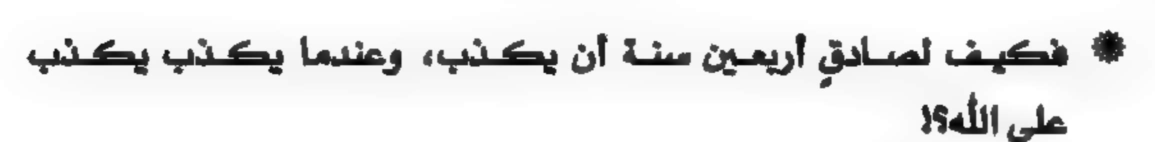
← تتكلَّم عن الأجنة، وأنت لم ترها!
← تصف مراحلها، وأنت لم تعلمها!
← تخبر بوصفها، ولم يأتك عنها نبأ يقين!
← تخالف في كلامك من حولك ولا تبالي!

أتستطيع ذلك وأنت كذاب؟!
أهذا في حدِّ المعقول عندك؟!!!

أُفٍّ لهـذا يا صـاحبي!



لقد طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، وغلى المرجل ثم انفجر، ولم يبقَ في قوس الصبر منزع.. والله إنَّ هذا لعين اللامعقول!



- فكيف لصادقٍ أربعين سنة أن يكذب، وعندما يكذب يكذب على الله؟!
- وكيف لمن لا يقرأ ولا يكتب أن يأتي بما أعجز المتعلمين؟!
- وكيف لكذابٍ أن يصبر على أذيته في بداية دعوته؟!
- وكيف لكذابٍ أن يتحدَّى قومه في أقوى ما هم فيه من اللغة والبلاغة؟!
- وكيف لكذابٍ أن يأتي بكلامٍ على البديهة هو من أبلغ الكلام؟!
- وكيف لبشرٍ - كذابٍ أو غير كذاب - أن يتكلَّم بأسلوبين أحدهما أبلغ من الآخر، وكلاهما أبلغ ممَّا سواهما؟!
- وكيف لكذابٍ أن يصبر كل هذا الصبر على دعوته؟!
- وكيف لكذابٍ أن يصمد كل هذا الصمود أمام الإغراءات لترك دعوته؟!
- وكيف لكذابٍ ألاَّ يقع - على كثرة كلامه - في التناقض، أو الخطأ، ولو مرة؟!
- وكيف لكذابٍ ألاَّ يستغل الفرصة الذهبيَّة للترويج لدجله؟!
- وكيف لكذابٍ أن يحتاط لنفسه حتى وهو في بيته وسط أهله؟!
- وكيف لكذابٍ أن يقول الحق وإن كان في ذلك مخالفة قومه؟!
- وكيف لكذابٍ أن يُسلِّي نفسه بالكذب؟!
- وكيف لبشرٍ - كذابٍ أو غير كذابٍ - أن يتكلَّم عن الأجنة ولا يُجانبه الصواب ولو مرة، وليس عنده الأدوات الكافية لذلك؟!



المنطق الحــق والقول الصــدق

تعـــال إلى المنطـــق الحـــق والقـــول الصـــدق..

تالله - يا صاحبي - إنَّ المنطق الإلحـادي لثقيـلُ الظِّـلِّ، سخيفُ القولِ، عديمُ النفعِ، لا يأتيـه الحـقُّ، منطـقٌ باردٌ غيـرُ سديد، خاوٍ غيـرُ رشيـد، إنَّه لمنطـقٌ سخيـفٌ سخيـفٌ سخيـفٌ.. منطـقٌ.. دع عنا ذكره، فقد - والله - مَلَلْتُهُ، وتعال إلى المنطق الحـق والقـول الصـدق!

❁ **تعالَ إلى التفسير السديد:**

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾.

❁ **تعالَ إلى الحقِّ كلِّه:**

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

❁ **تعالَ إلى اليقين كلِّه:**

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾.

❁ **تعالَ إلى الفهم كلِّه:**

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

❁ **تعالَ إلى الإيمان كلِّه:**

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

❁ **تعالَ إلى الفقه كلِّه:**

﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾.

❁ تعال إلى العلم كلِّه:

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴾.

❁ تعال بعيدًا عن التناقض:

﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾.

❁ تعال إلى الخُلُق كلِّه:

سألوا عائشة زوجَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ورضي اللهُ عنها ـ عن خُلُقه؛ فقالت: «كَانَ قُرآنًا يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ».

نعــم.. نعــم..!

هكذا تستقيم الأمور، وتعتدل الأفهام، وتتناسق الأحداث، وينسجم الكون.. هكـــذا.. هكذا يظهر كذب من قال «فيلسوف»، فأشهد بالله أنّه رسول الله بروحي هو ونفسي ﷺ.

فلا أدري أزيدك أم تجيبني؟! أخشى أن تطلب مني الزيادة، فأموت قبل أن أزيدك.. وأخشى أن تُؤخِّر الإجابة فتموت قبل أن تجيبني.. فلا أدري ماذا ستفعل يا صاحبي؟!



جـواب أبي الحكـم

من أعاتب؟! ولمن أشتكي؟! ولمن أقول إنّني قد أكون مخطئًا؟! ذلك الإله الكبير الذي بالسماء، أرجو أن يتقبل منك دعوتك لي!

أرجو أن أقترب لنور إيمانك، أقسم لك إنَّ كلامك ممسوسٌ بهدايةٍ لا أعلمها، أقسم لك إنّك تقول كلامًا لم أقرأ قبله قطُّ!

أخي حسام الدين! أنا أتفكر كلَّ ليلةٍ فيما تقول، واعلم يا أخي أنّي أنتظر ردودك بالساعات!

يا أخي الكريم! - وأرجو أن تتقبلني أخًا لك - كنتُ أظنُّ أنّي قادرٌ على إحراج المتدينين في الكلام، ولكنَّ الكلام اليوم لا يُسعفني أمامك؛ لأنّي - وبصدق - هذه مرتي الأولى التي أقرأ لأنني أريد ذلك، أتفكر لأنني أرغب بذلك.

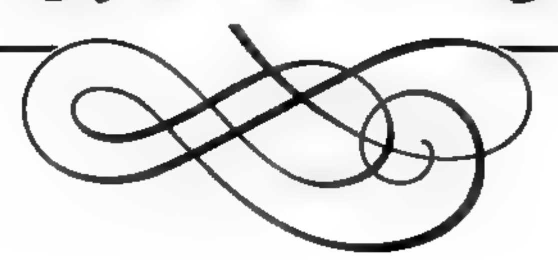
يا سيدي العزيز! أعدك وبكل صدقٍ إنّي اشعر بشيء، وربك الذي تعبده إنَّ كلامك حرّك بي مشاعر لا أعلمها، أعدك وعدًا أخويًا، إنّي غدًا سوف أصوم لربك للمرة الأولى، وسأحاول جاهدًا أن أصبر نفسي كما تفعلون أنتم، وسأجرب طريق الصيام الغريب عني، كبادرةٍ لحسن النوايا، ولأثبت لك ولنفسي قبلاً صدق عاطفتي تجاه دينكم الحنيف.

شكرًا جزيلاً لك. وأنا في انتظار درسي القادم، وأرجو منك يا أخي أن تدعو لي في صلاتك، وفي قيامك، وصدقًا لقد اقتنيت القرآن، وأنا الآن أحاول تعلم كيفية قراءته؛ لأنّي لم أقرأه بالسابق. ■





خامسا: وصفقة أخـرى





وصفقةٌ أُخرى!

إيهٍ يا أبا الحكم!

باللّه الذي جعل للحقّ نورًا لا يقف أمامه الباطل، إنّي لأحب لك الخير كما تحبُّه لنفسك، وربّي أخشى عليك كما تخشى على نفسك، أدعو لك أكثر مما أدعو لنفسي، كيف لا؟! كيف لا أحرص عليك وأنا أعلم مغبّة الإعراض؟! نارٌ حرُّها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد، أتُراه أمرًا هينًا؟!

> ألستَ أنت القائل: «وبنفس الوقت أخاف أن يفوتني قطار الحياة وأموت في أي لحظة، وأكتشف أنني كنتُ على خطأ، وأقابل ذلك الرب الذي قال عنه الأنبياء»؟!

تبًّا لهذا الإلحاد! تبًّا له يجعلك تصحو على خوف، وتنام على قلق! تبًّا له من مُعتقد يجعل مضجعك الحيرة، وسقفك التيه!

ماذا لو؟!



سؤالٌ يتردّد في أرجاء نفسك، يُزلزل قلبك، يخلع فؤادك!

ماذا لو كنتَ على خطأ؟!

آه.. ستندم الندم كلّه عندها يا أبا الحكم.. لكن لن ينفعك الندم.. فليس الحين حين ندم.. الحين - عندها - حينُ ألم!

أخاف عليك أن تكون مع ركب النـــار حين يدخلون.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

آهٍ.. نسأل الله ألاّ يموتُ أبو الحكم إلاّ على الإسلام!

تدري ما يفعل مَن أراد الدخول في الإسلام؟!

يقولُ شهادة العرفان: «أَشْهَدُ أَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ عيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»، ويقيمُ الصلاةَ، صلته مع ربه، ويصومُ رمضان، وذاك الصيام حديثه ذو شجون، فلعلّي أحدثك عنه حين تدخل الإســـلام.

نسيت أن أسألك: كيف حالك؟!

أمازالت نعم الله عليك تترى؟!

أمازالت صمامات الأمان تعمل؟!

أمازال المرفق يعمل؟!

أمازالت عضلات يدك تعمل؟!

أمازلت تتحدث مع من حولك؟!

أمازلت تجاهر بكبرك على ربك؟!

سبحانك ربي ما أحلمك!

خلق لك اللسان والأسنان، والشفاه والأحبال الصوتيّة، والمخ والمراكز العصبية.. تتحرك الأحبال بما لا تعرف أنت عنه شيئًا لتتكلم بالكلمة.. ويمرُّ الهواء من جوفك في مساره إلى الخارج.. ويعدل اللسان والأسنان والشفاه من الوضع.. حركاتٌ دقيقةٌ مُتناسقةٌ حتى يخرج الصوت بالكلمة!

دع عنك الأفكار التي تحملها «الكلمة»!..

جهازٌ مُعقّد التركيب لكي تتكلم؛ فيفهم الناس عنك وتُفهمهم ما أردت! كل هذا لتنطق كلمةً واحدة! كل هذا يجري بما يحار فيه عقلك! كل هذا أنعم به عليك ربك! لكنّـــك..

لكنك - وأنا أعلم أنّك تكره الجحود - عندما نطقتَ قلتَ - بجحـود -: «أتكبر على خالقي!»، فسبحان من حلُم عليك حين كفرت!

تدري؟!

تدري الَو شاء؛ لَمَحَا من جسدك العصب إلى أحبال صوتك، فما عساك تفعل؟! ولمن عساك تشكو؟!

تدري الَو شاء؛ لأخرس لسانك حين استخدمت نعمه في الكبر عليه؟!

تدري الَو شاء؛ لذهب بأسنانك وشفتيك.. أترضيك عندها حالك؟!

تدري الَو شاء؛ لقبضك إليه وأماتك، ثم عذّبك فأبادك.. ثم قال للملائكة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾!

فمَن يحجز عنك عذابَه إن هو أرادك على ذلك، من يرد عنك قضاؤه؟!

أتظنُّ أنّي في حاجةٍ أن أقول لك: «إنّك أضعف من ذلك؛ فارأف بنفسك»؟! أتظنُّ أنّي في حاجةٍ إلى أن أقول: «إنّك تؤذيك شَرْقَة، وتقض مضجعك بقة؛ فارأف بنفسك فمن كان الله خَصْمَه خَصَمَه»؟!

لكنّه - ما أرحمه - ما فعل بك ذلك.. ما قطع أوصالك.. ما جزاك على كبرك عليه.. بل حلُم عليك.. ودلّك على مواضع الهداية.. وها أنت الآن تعرف عنه وعن رسوله!

ونـداؤه يعلـوك...

۞ نداؤه يعلوك: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

۞ نداؤه يعلوك: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

۞ نداؤه يعلوك: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾.

أرأيتَ كيف يتودَّد إليك ربك؟!

أرأيت كيف يُعلِّمك كيف تشكره على نعمه وهو الغني عنك؟!

فما لك تنأى؟! وما عليك إلا أن تقول: «آمنتُ بالله»؟! أين أنت من فضيلة البر والشكر؟! أين أنت من ثناء علَّك تُؤدي بعض ما عليك من حقِّ الشكر؟!

أين أنت من وقفة بجوف ليلة، في إثناء ركعة، ملؤه الدموع، تُناجي فيه ربك ـ والناس قد رقدوا ـ، وتقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ»؟! إي والله قَيِّمُ السماوات والأرض..

أين أنت من نحيب العُصاة أمام مولاهم وأنت تقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ»؟! إي والله ملك السماوات والأرض..

أين أنت من التململ بين يدي ربك ـ علَّه يعفو عنك ـ، وأنت تقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ؛ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»؟!





أليس هو ملك السماوات والأرض، وقيم السماوات والأرض؟!

أم تراك أنت القيم؟! أم ترى الصدفة هي القيمة؟! أم ترى الطبيعة هي القيمة؟! أم ترى العدم هو القيم؟! ... ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾.

صَفْقَةٌ أُخْرَى



تدري يا أبا الحكم: عندي لك صفقةٌ جديدةٌ..

لو أنت القيم على الكون؟!

صفقةٌ سهلةٌ يسيرةٌ في المنطق الإلحادي، صفقةٌ أقاموا على شأنها صدفةً مهتبلة، أو طبيعةً مختلقة، صفقةٌ يسيرةٌ، أرى أنْ أحولها من تلك الصدفة إليك..

أريدك أن تحمل الأمر بدلاً من الصدفة..
ألستَ أعلم من صدفةٍ عابرةٍ حائرةٍ تائهةٍ لا تتكرر؟!
ألستَ كذلك؟! قالوا: بلى!

الآن: لنبدأ..

۞ أريدك أن تقوم على المجرات والكواكب والمذنبات والشُّهب..

- ← **فلا ينجذب شيءٌ إلاّ بنظام!**
- ← **ولا يطّرِد شيءٌ إلاّ بنظام!**
- ← **ولا يتحرّك شيءٌ إلاّ بنظام!**
- ← **ولا ينفجر شيءٌ إلاّ بنظام!**

← فالفلكيون سيبحثون من ورائك هذا النظام، وسيجرون الحسابات من خلال هذا النظام، فإياك أن يظهر الأمر وكأنَّه خبط عشواء أو ضربة لازب، فقد حقَّقت الصدفة نظامًا دقيقًا أنشأ علمًا يأكل من وراء العمل فيه رجال سموا أنفسهم الفلكيين.

فذلك نظام حقَّقته الصدفةُ ألاَ تستطيع تحقيقه؟!

قال المنطق الإلحادي: بلى!

۞ أريدك أن تقوم على أمر البحار والمحيطات..

← فلا يطغى الماء على الأرض فيغرق من عليها!

← أريدك أن تقوم على أمر الأسماك، صغيرها وكبيرها، داخل البحار والمحيطات والأنهار والقنوات والترع والبحيرات، أريدك أن تجعل لكلِّ سمكةٍ غذاءها، فلا تموت جوعًا لنقص التغذية!

← أريدك أن تجعل بعض الأسماك طعامًا لبعضٍ بحيث لا تفيض البحار على الأرض بالأسماك!

← أريدك أن تجعل بعض الأسماك قادرةً على الدفاع عن نفسها، كلٌّ على حسب طريقته حتى لا تنتهي من فور وجودها!

← أريدك أن تحقق التوازن بين تلك المملكة من الأسماك!

← وأريدك أن تجعل بعض هذه الأسماك عددها بألوف الألوف من الأنواع!

← وأن تجعل كلَّ نوعٍ له شكله المميز!

← وأن تجعل لكُلِّ نوعٍ وسيلة تكاثرٍ ينتج بها مثل نوعه، إياك أن تغلط مرةً فيتزاوج اثنان من نفس النوع فينتج نوع آخر! فتلك في حقك ستكون فضيحة!

← وعن النباتات في البحار، فكيِّف لها وضعها، ووفر لها حاجاتها!

← وعن الصيد في البحار، فاضبط الأمر، بحيث لا يطغى حق البحر على رزق الصياد، ولا يطغى حق الصياد على مملكة الأسماك!

← وأريدك أن تجعل في الماء التوتر السطحي الكافي لحمل السفن!
← ثم أريدك أن ترزق البشر العقول وتلهمهم الأفكار التي بها يبنون السفن!

فذلك توازنٌ حققته الصدفة ألاَ تستطيع تحقيقه؟!

قال المنطق الإلحادي: بلى!

۞ ثم أريدك أن تقوم على شأن هذه الكواكب..
وخصوصًا المأهولة بالسكان..

← فاجعل لكوكبهم قمرًا يمشي بنظام!
← واجعل لقمرهم طورًا بعد طور!
← واجعل لكوكبهم شمسًا لا يذهب حرُّها بجلودهم، ولا يأتي بُعدها ببردٍ يوقف نشاط يومهم!
← واجعل للقمر شأنًا عجيبًا مع المدِّ والجزر!
← واجعل لشمسهم شأنًا عجيبًا مع الظِّلِّ!
← وإياك أن يختلَّ النظام، فقد حققت الصدفة نظامًا يدرس نتائجه الطلبة في المدارس، فهذا قمرٌ في أطواره محاقٌ وتربيعٌ وبدر، وتلك شمسٌ بعدها عن الأرض كيت وكيت، وقمرٌ بعده عن الأرض كيت وكيت. إياك أن يختل هذا النظام!

فذلك نظامٌ حقَّقته الصدفةُ ألاَ تستطيع تحقيقه؟!

قال المنطق الإلحادي: بلى!

۞ ثم أريدك أن تُيسِّر لسكان الأرض هذا الكوكب، وتُذلِّل صعابه لهم!

← الأكسجين في الهواء يكفيهم ولا يطغى!
← والهيدروجين يكفيهم ولا يبغي!
← ولا ينقصهم نيتروجينٌ ولا غيره!
← والمياه موجودةٌ لكلِّ مَن أصابه العطش فأراد بلال صداه!

← والغذاء موجودٌ لكل من يفغر فاه!

← والجاذبية تجذبهم؛ فلا يطيرون في الهواء!

← والطف بهم بطبقةٍ من الأوزون تحميهم ممّا يضرُّ من آشعة الشمس!

← إياك أن يختلّ هذا النظام!

فذلك نظامٌ حقّقته الصدفةُ ألاَ تستطيع تحقيقه؟!

قال المنطق الإلحادي: بلى!

❁ ثم أريدك أن تقوم على شأن السباع في الغابات..

← الهوام والديدان والحشرات..

← والقطط والكلاب والفئران والحيات..

← والبعوض والأسود والنمور والفهود، وفر لكلٍّ غذاءه!

← ثم انتبه فهناك توازنٌ في البيئة، إياك أن تخلّ بهذا التوازن!

فذلك توازنٌ حقّقته الصدفةُ ألاَ تستطيع تحقيقه؟!

قال المنطق الإلحادي: بلى!

❁ ثم أريدك أن تقوم على شأن سكان هذه الأرض!

← تلك تضع حملها!

← وتلك ترضع ولدها!

← وذاك يعمل ليله!

← وذاك يكدُّ نهاره!

← ذاك يذاكر دروسه؛ فينجح!

← وذاك يلعب طول العام الدراسي؛ فيرسب!

← ذاك يعمل بكدٍّ؛ فيعلو!

← وذاك كثر أعداؤه؛ فيخبو!

← ذاك ذكيٌّ ماهرٌ؛ فينبل ذكره!

← وذاك خاملٌ فاشلٌ؛ فتمحو أثره!
← تلك طيبة الخُلُق؛ فيوضع لها القبول في الأرض!
← وذاك سيء الخُلُق؛ فينفر منه الخَلْق!
← ذاك يعمل؛ فيصير من النبلاء!
← وذاك لا يعمل؛ فيظلُّ من البطَّالين!
← ذاك أراد النوم فيأتيه النوم، وأراد الاستيقاظ؛ فيستيقظ!
← ذاك يرفع يده للسماء يطلب طلبًا؛ فيأتيه طلبه!
← وذاك في الهند سيدعو، وذاك في الصين يدعو، وفي مصر، وفي ليبيا، وفي سوريا، وفي القدس، وفي رفح، وفي غزة، وفي نابلس، وفي مكة، وفي نيويورك، وفي شارع الجلاء، وفي شارع القصر العيني، وفي ذاك البيت الصغير، وفي هذا الكوخ الحقير..!
← وذاك يدعو في الليل، وذاك يدعو في النهار!
← وذاك يسأل بفلس، وذاك يسأل عند الشفق!
← إياك أن تختلط عليك الأصوات!
← إياك أن تخلَّ بسنن الأكوان!
← إياك؛ فتضيع الأرض!
← إياك؛ فينتشر الفساد!
← إياك؛ فهذا نظامٌ دقيق!

فذلك نظامٌ حقَّقته الصدفةُ ألاَ تستطيع تحقيقه؟!

قال المنطق الإلحادي: بلى!

❁ وانتبه لكلِّ شيء..

← انتبه لكل شيءٍ حتى الزائدة الدودية في جسد الإنسان! نعم..! للزائدة الدودية! اجعلها في بعض البشر أمام الأعور، وفي بعضهم خلفه، وفي بعضهم تحته، وفي بعضهم جنبه، وفي بعضهم ملتفة، وفي بعضهم غير ملتفة.

← فإن طغى أحدهم في الطعام وأساء القوامة على نفسه، فعجِّل بالتهاب تلك الزائدة، ولكلِّ نوعٍ كيفيةٌ في التعبير عن هذا الالتهاب، ولكل نوعٍ ألمه، فتلك ألما عند السرة، وتلك ألما عند الجنب، وتلك ألما يملأ البطن، وتلك ألما في الظهر.

← ثم اجعل هذه الأعراض المرضية مفيدة؛ فتصير بطنه صلبةً كالحطب، فتخفف الألم عليه، وإياك أن تزيل الألم! وإلاَّ فكيف سيعلم أن زائدته قد التهبت؟!

← ووفِّر له الطبيب المعالج!

← ووفِّر للطبيب الدواء، فقد علمنا أنَّ لكل داءٍ دواء إلاَّ الموت والهرم!

← ووفِّر للطبيب العقل الذي به يعرف الدواء!

هناك الكثير، الكثير، الكثير، الكثير، الكثير، الكثير

ممَّا يلزمك الانتباه إليه والقيام على شأنه

إياك أن تطغى! إياك أن تسهو! إياك أن تنسى! إياك أن تغفل!

سيضيع الناس! حاذر!

ستسري الفوضى في أرجاء البسيطة! وتلك مصيبةٌ غير بسيطة!

ستكون فضيحتك فضيحةً شديدة! ذلك أنك عجزت عن تلك الصفقة البسيطة! عجزت أن تسوي ما نسبه المنطق الإلحادي إلى «صدفةٍ عابرة»!

لذا.. فلن أستغرب أبدًا..

لن أستغرب أن تقول: «لن أقبل هذه الصفقة»، لن أستغرب أن تستقيل من تلك المهمة، لكني سأسألك: «فما يعوزك حتى تقوم بتلك الصفقة»؟

ولن أستغرب أن تقول: «أحتاج إلى علمٍ واسع، وكرمٍ لا ينفد، وإرادةٍ نافذة، وقدرةٍ تامة، وحكمةٍ بالغة، وتملكٍ لا ينقضه عليَّ أحد، وهيمنةٍ لا يقف أمامها أحد، وجبروتٍ مع رحمة، وودٍّ مع انتقام، وقوةٍ مع حُكم».

ولن أستغرب كذلك.. لكني يا صاحبي يصير وزني عجبًا، وتغدو كتلتي استغرابًا، وتملؤني الدهشة القاتلة، حين تشترط هذه الصفات؛ لتقوم على الكون بهذا الشكل الذي هو عليه الآن، تشترط هذه الشروط. وهي شروطٌ لازمة. لا غرو إن اشترطتها، تشترط هذه الشروط كلها للقيام بشأن الكون، ثم توافق أن يكون القيام على الكون مرده إلى صدفة أو مرده إلى لا شيء!

ألا يملؤك العجب مثلي؟!

إي والله إنــه لعجــبٌ مُحــزن!

لذا يعز على نفسي أن أرى هذا حالك، عزيزٌ على نفسي أن يكون سبب دخولك النار هو تمسكك بهذا الخبل المخزي، عزيزٌ على نفسي أن أراك تركن إلى هذا الهراء وأنت الرجل الرشيد، عزيزٌ على نفسي أن تقتحم إلى النار تقحمًا لا عقل فيه، عزيزٌ على نفسي أن ترضى بالمنطق الإلحادي وهو منطقٌ عاجزٌ العجز كلُّه، عزيزٌ على نفسي أن أراك تبحث عن مصرعك.

يا صاحبي دع عنك هذا المنطق الإلحادي، وقل: «آمنتُ بالله وبرسوله»!

يا صاحبي اقرأ معي كيف تسير الأكوان:

۞ قال الله الحليم عليك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

۞ قال الله الغفور الرحيم: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

۞ قال الله الرحمن الرحيم: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

۞ قال ربي وأحق القول قول ربي: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾.

۞ قال الله: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾.

۞ قال الله الرحمن الرحيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾.

۞ قال الله: ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾.

۞ قال الله: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾.

۞ قال الله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾.

۞ قال الله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۞ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾.

۞ قال الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾.

۞ قال الله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾.

اقرأ في كلام الله بقلبٍ خاشع، وستعرف أنَّ الأمر أكبر من صدفةٍ تافهة، لا يقول بها إلاَّ مسلوب العقل أو مخدوع عن عقله، وأنَّ الطبيعة الصماء المنفعلة غير العاقلة لا يكون منها ما عجز عن تخيُّل القيام به ذوو العقل الرشيد من أمثالك، وأنَّ العدم أحقر بكثيرٍ من القيام على شأن الوجود!

اقرأ.. وسل نفسك..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾

ما غرك؟!

أمَا آنَ لك أن يخشع قلبك لربك؟!! أمَا كفاك كبراً على ملك السماوات والأرض؟؟! أمَا آنَ لك أن تقول: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» ؟! أمَا آن لك وقد عرفت؟! الاَّ تنادي: «اللَّهُمَّ قد آنَ، اللَّهُمَّ قد آنَ» ؟!

هذا أوان العودة.. فاغتنمه.. فلا أدري أموت قبلك أم تموت قبلي..



أبا الحكم!

أزيدك أم تجيبني؟! نعمة عيني أن أزيدك بالكلام عن ربي، ونعمة عيني أن تجيبني بأنك أسلمت لله ربك.. فما تفعل يا صاحبي؟!!



جواب أبي الحكم

آهٍ يا حسام!

ما أصعب كلامك! وإني أقول لك قول صدقٍ إنك أنزلت الرهبة في قلبي، والدمعة من عيني، ماذا تفعل معي؟! وبأي علمٍ تتكلم؟! أقسم لك لم أستطع إكمال درسك الأخير، وأقسم أنني ارتحت عنه ساعتين ثم عدت له بشوقٍ أكبر! لا تعجل عليّ يا أخي! فإنك ستلقى مني ما يسرُّك، إنّي أفكر وأفكر وأفكر...

بالمناسبة يا أخي! أردتُ سعيدًا أن أخبرك أنني صمت اليوم، ولا أُنكر أنني تعبت، ولكن أحسست أنني أنجزت شيئًا معنويًا لا أعلم ما هو!

أخي العزيز حسام! سأغيب عنك فترةً ليست بالطويلة، وأعدك أن أعود بما يسرُّ لك البال، سأذهب لمكانٍ تتمنى أنت وغالبية مسلمي الأرض أن يصلي فيها، سأزور القدس العتيقة، سأذهب هذه المرة ليس لزيارةٍ سياحية، كما كنت أفعل بالسابق، هذه المرة سأذهب لأفكر بما قلت لي هناك، علّي أجد إجاباتٍ لأسئلةٍ لم تطرحها نفسي علي من قبل!



أتركك بخيرٍ يا أخي، وسألتقي بك مجددًا، وأعلمك أنني أتشوّق للقياك والجلوس معك، إنك إنسانٌ رائع، وأغبطُك على هدوئك النفسي.. لك تحيتي! ■



سادسا: سبيـل المرسليـن





سبيل المرسلين

أبا الحكـم!

وأنا يا صاحبي أشتاق للقياك، أخشى إن لم تكن اللُّقيا في الدنيا أن نفقدها في الآخرة، لماذا تُصِرُّ على حرماني من لُقياك في الجنة بفضل الله؟!

أما زال مقعدك شاغرًا بين المسلمين؟! أمازلتَ هنالك في صفوف الملحدين؟! لأن تكون ذنبًا في الحق خيرٌ لك من أن تكون رأسًا في الباطل! أما زال مقعدك شاغرًا بين المسلمين وهم ينتظرونك حرصًا عليك؟!

لماذا تكره نفسك إلى هذا الحدّ يا أبا الحكم؟! لماذا تصر على أن توردها المهالك؟! قال ربي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾.

يا لله!

أمازلتَ تتكبر على خالق كان تذل له، فتمز عن كلّ ندّ و شريك، يريدك دون منٍّ عليك فيُرديك؟! لقد احترت لك. أردتُ أن أجد لك وسيلةً تدخل بها الجنة وأنت على كبرك، الجنة التي يقول فيها الأتقياء:

يَا حَبَّذا الجنـة واقترابها طيبـةٌ وبـاردٌ شرابهـا

أريدها لك وتريد أنت خلافها، ووجدت وسيلةً تدخل بها الجنة وأنت على كبرك، هي صفقةً ـ كسائر الصفقات ـ إن قمتَ بها قد يكون لك أمل!

أحضر إبرة خياطة! أحضر جملاً! أدخل الجمل في ثقب الإبرة! أسهلةٌ هي؟!

قال ربي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

فإن كانت تلك الصفقة خاسرةً ـ كسائر صفقاتي معك ـ، فلا أعلم لك إلاَّ الإسلام يا صاحبي!

نسيت أن أسألك كيف حالك؟!

أما زالت نعم الله عليك تتوالى؟!

ما حال المحابس واللسان؟! والشفاه والأسنان؟! والمرفق وصمامات الأمان؟! المرفق.. أتعرف فيه زاوية الحَمل؟! علّي أحدثك عنها في مرةٍ قادمة!

أمازلت تستطيع قراءة ما أكتب إليك؟! كيف حال بصرك؟! ما أخبار عينك؟! أمازالت الرموش في الجفون، والجفون على العيون، والعيون في المآقي؟! أمازالت العدسة تلملم شتات الضوء ليقع على الشبكية؟!

من وضع تلك العدسة في عينك؟! من وضع لك عضلةً صغيرةً تضيّق بؤبؤ العين، وأخرى توسعه حسب الضوء من حولك؟! من وضع طبقةً رقيقةً من الماء على قرنيتك فلا تجف ولا تتقرح؟! من جعل جفنك يرمش فيوزع طبقة الماء هذه بانتظامٍ على قرنيتك؟! من جعل جفنك يرمش فيمنع الأتربة من التراكم على عينك؟! من جعل جفنك يرمش كل حوالي (٦ ثوانٍ) كفعل لا إرادي منك؟! من وضع فيك هذا الفعل اللاإراديّ؟! ما رأيك لو جعلنا لك هذا الفعل إراديًا، فكل (٦ ثوانٍ) تجعل جفنك يرمش؟! أتُراك ستظل طول يومك جالسًا تهتم بجفنك حتى لا تتقرح عينك؟!

خلِّ عنك خلايا الشبكيَّة وما وراءها من المسارات العصبية، فهي معقَّدةٌ بما يكفي لردعي عن الكلام عنها بأدنى إشارة.

خبِّرني يا أبا الحكم من رزقك تلك العيون؟! أوجِدت من غير شيء أم أنت مَن أوجدها؟! أخبرني يا أبا الحكم من أوجدها؟! أإلهٌ مع الله؟! خبرني يا صاحبي.

عندما تتحوّل تلك العيون إلى قطعة دهنٍ تسيل على خدك وأنت في قبرك بعد الموت، ألست ستموت؟! فعندما تسيل تلك العيون على الخدود.. أتود أن تكون مسلمًا أو كافرًا؟!

ثم خبِّرني يا صاحبي..

ثم أخبرني عندما تُبعث بعد الموت، أليس مَن خلق تلك العيون بقادرٍ على بعثها؟! خبِّرني عندما تُبعث وترى نارًا تحرقك أن تراها بله أن تصلاها، عندما ترى تلك النار أتود أن تكون مُسلمًا أم ملحدًا؟! أإلى هذه الدرجة تمقت نفسك؟!

فرصـــة ذهبيــة
سَبِيــلُ الْــمُرْسَلِيــنَ..

تعالَ أدخل عليك من بابٍ جديد، في صراطٍ أصله عريق، وآخره الجنــة! تعالَ علَّك ترحم نفسك فتسلم لربك، تعالَ..!

أبا الحكم! ما رأيك في فرصةٍ ذهبية؟! ستكون يا صاحبي خالدًا مخلدًا في التاريخ، ستكون نسيج وحدك، حسنة دهرك، علاّمة عصرك، ما رأيك أن تأتينا بتشريــع؟!



أريد منك أن تقرأ ما شئت أن تقرأ..

أريد منك أن تبحث ما شئت باحثًا..

أريد منك أن تصبر صبر الإبل على التدقيق والتمحيص..

غادر كتابًا إلى كتاب..

سِرْ في الحياة وعاشر الناس..

عليك بالإحصائيات ولا تنس الأبحاث...... وبعد أربعـــين سنـــة..

لنبـــدأ: الآن!

سأطلـب منـك التـالي:

۞ منهجًا واضحًا في عقيدة الإنسان مع ربِّه..

← منهجًا رشيدًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تمس الشبهات والرد عليها، وأغلق على أهل الباطل الأبواب قبل أن يبحثوا عنها.

← وحدِّثنا ـ بعد أربعين سنة ـ عن حال الإنسان مع القَدَرِ، وخبِّرنا كيف يتعامل مع مُرِّ الأيام وحُلوها، ويسِّر لنا فهم الأمور المعقدة.

۞ وحبَّذا لو بيَّنت لنا ـ بعد الأربعين ـ المعتقد في الأمور الغيبية!

← مسائل الجنِّ والشياطين، كيف نرى المصروعين ومن أصابهم المَسُّ بأعيننا، أتريدنا أن ننكر ذلك أم كيف نراه؟!

← وبيِّن لنا العقيدة في الملائكة، مع شيء من التفصيل عن الأسماء والوظائف.

← وزدنا بتحقيقٍ في مسألة التفضيل بين البشر والملائكة، فتلك مسألةٌ فيها نزاعٌ مشهور.

۞ ثم نبِّئنا بأخبار الرسل، ونريد أخبار أقوامهم علَّنا نستفيد..

← ولا تُحدِّثنا بما لا فائدة فيه، بل اقتصر على مواضع العبرة، وما لابد منه لفهم الأحداث، وهات أخبار الأمم مَن كذَّب منها، ومَن لم يكذب، وضع في الحسبان التاريخ والأعلام والمواضع.

← ثم زِد ما شئت أن تزيد في أمر العقائد الباطلة، كيف انحرفت، ومن بدَّل وحرَّف، علِّمنا بحيل أهل الضلال وخبايا النفوس.

ألم أقل لك: ستكون علاَّمة عصرك؟!

۞ وإن تنسَ؛ فإياك أن تنسى تنظيم أمور العبادة..

والصلة بين العبد وربه؟!

← فالمرء ما ينفك سائلاً: «ربِّ لو كنت أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك بها»، ألا يخلع هذا السؤال قلبك؟! فخبرنا يا صاحبي بعد الأربعين بما ستراه أحب الوجوه!

← نريد صلاةً لله نعرف أوقاتها وعددها، فقهها وأركانها، سننها ومكروهاتها، ما يبطل الصلاة وما يجوز فيها؟!

← كيف الحال إن عرض لك عارضٌ وأنت في الصلاة ما تفعل؟!

← ما الشأن إن سهوت كيف تجبر سهوك؟!

← وأنبئنا عن الصلاة ما الفرض وما النفل؟!

← وعن الجماعة ما شأن الإمام والمأمومين؟!

← والمساجد آدابها وأحكامها، والدعاء في الصلاة، وقنوت النوازل، وأهل الأعذار، ماذا يفعل المسافر؟ ثم ماذا يفعل المريض؟! ثم ماذا يفعل الخائف؟!

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ولا تنسَ الناس من عيدٍ يجمعهم، فلكلِّ قومٍ عيد..

← وهيئْ أحكامَ عيدٍ لا تُمل ولا تُضل، فيفرح الناس دون أن يبغي بعضهم على بعض، وضع للعيد صلاةً لها أحكامٌ تخصها..

← ولا بأس بصلاة الكسوف والاستسقاء..

← والناس بحاجةٍ إلى وعظٍ وتعليمٍ وإرشاد، فضع لهم خطبة يومًا في الأسبوع، وليكن يوم الجمعة..

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ونظافة الجسد.. أنسيتها؟!

← والوضوء والغسل والتيمم، وكلٌّ له شروطٌ وواجباتٌ وسننٌ ومبطلاتٌ، وأحكامٌ مع أحكام، وللمياه أحكام، أيها طهور وأيها ليس بطهور؟!

← وأحكام الحيض والاستحاضة والنفاس، وأحكام الآنية والمياه والاستنجاء، وأحكام الملابس ما يجوزمنها وما لا يجوز..

← وضوابط الملابس كيف تكون طيبةً ساترةً جميلةً بهيةً لا تفتن ولا تنفر، اجتهد في القراءة يا صاحبي في الأربعين سنة، اقرأ في كل المجالات!

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ولا تنسَ أنَّ الناس تموت، وأنت ستموت..

← فتكلم عن كيفية الدفن وأحكام الجنازة، وتغسيل الميت، وأحكام التغسيل بحسب حال الميت.

← ولا تنسَ الكلام عن المرض، ووصية المريض، ولا تنس تصرفات المريض.

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ثم ضع في الحسبان أن يكون المجتمع فيه تكافل..

← فالأمر تشريعٌ يا صاحبي! فضع في تشريعك «الزكاة»، وبيّن أحكامها، اذكر مصارفها، وما تجب فيه..

← لا تنس زكاة الزروع والحبوب والبهائم والثمار والحلي وعروض التجارة والفطر، خبرنا ما تراه في كلٍّ واحدة..

← وأي مالٍ تجب فيه الزكاة، وكم حد هذا المال؟! ولا تبغي على مال أحد بما يضر، ولا تنسَ الفقراء والمساكين!

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ولا تنس جمع الناس من كلِّ صوب..

← لا تنسهم من رحلةٍ تجمعهم أجسادًا فتضمهم قلوبًا، لا تنسهم من رحلةٍ تذكرهم برحلتهم إلى الموت، لا تنسهم من رحلةٍ يزورون فيها الأماكن المقدسة عسى تقدس أمتهم. ولا تنسَ أن تضع لتلك الرحلة الأحكامَ اللاَّزمة.
← ولا تنسَ أن تخبر عن حكمها للمستطيع، ثم من طرأ عليه عدم الاستطاعة ومن أُحصر، وأقترح عليك أن تسمي تلك الرحلة «رحلة الحج».

ألم أقل لك: ستكـون علاَّمــة عصــرك؟!

۞ ولا تنسَ أنَّ الأمة التي سيعجبها تشريعك فتنفذه أمة وسط أمم..

← فضع لها أحكام المعاملة مع الأمم المجاورة والنائية.
← كيف تنظم العلاقات مع المخالفين والمعاونين، ما حالها مع المعاهدين والمحاربين، وكيف تكون عندما تلجأ للحرب..
← ما أحكام الحرب؟! أخبرنا بأفضل نظامٍ للحرب يكون، أسباب الحرب وآدابها والمعاملة مع كل باغٍ عادٍ ظالم.
← لا تنسَ أن تقرأ في الأربعين سنة في الكتب الحربية يا صاحبي!
← لا تنس أن تقرأ في العلاقات الدبلوماسية! وبعد القراءة استخلص واستنتج، ودبر وخطط، ثم اخرج علينا بذلك التشريع الجديد!

ألم أقل لك: ستكـون علاَّمــة عصــرك؟!

۞ ولابُدَّ للناس من بيع وشراء..

← فلا تنسَ تنظيم شئون البيع، والخيرة في البيع، ومتى يكون التصرف في المبيع، أهو بعد العقد أم بعد القبض؟ ولماذا؟ وماذا لو أراد المشتري رد السلعة؟
← وأخبرنا عن الربا والصرف، وما قولك في بيع أصول الثمار حتى يستفيد المزارع بالثمن على زراعة أرضه، ما رأيك الاقتصادي في تلك المسألة؟!
← وأخبرنا عن السَّلَم بعد أن تقرأ عنه في كتب الاقتصاد!!

ألم أقل لك: ستكـون علاَّمــة عصــرك؟!

۞ ولا تنسَ الرهن، والضمان، والوكالة..

← والحوالة، والكفالة، والشركة، والمساقاة، والإجارة، والعارية والغصب، والشُّفعة، والوديعة، وإحياء الموات، والجعالة.

← ولا تنسَ أنَّا قد نجد شيئًا ثمينًا في الشارع فأخبرنا ما أفضل الطرق للتعامل معه، أخبرنا بأحكام اللقطة واللقيط، وأحكام الهبة والهدية.

ألم أقل لك: ستكون علاَّمة عصرك؟!

۞ ولا تنسَ ما يكون بين الناس من المنازعات..

← فأخبرنا بأحكام الصُّلح بين المتخاصمين، وفرَّق لنا بين باب الصلح، وباب القضاء.

← وفي القضاء عرفنا بآداب القاضي وطريق الحكم وصفته..

← ونظَّم لنا الحال مع الدعاوي والبينات، والشهادات وموانع الشهادة وعددُ الشهود واليمين والدعوى والإقرار.

ألم أقل لك: ستكون علاَّمة عصرك؟!

۞ ولا تنسَ أنَّ الناس خُلقوا رجالاً ونساءً..

← فبيَّن كيف يكون التعامل بينهم، فلا تنقطع الأنساب، ولا تختلط الأنساب، وبين لنا المحرمات من النكاح، والشروط والعيوب في النكاح، ومتى يحق لأحد الزوجين أن يفسخ العقد، وكيف تحمي كلا الزوجين من الغش.

← وما رأيك في نكاح من يتبع تشريعك بمن لا يتبع تشريعك؟! ولماذا؟! وأحكام المعاشرة بين الزوجين.. وكيف بأحكام الصداق؟!

ألم أقل لك: ستكون علاَّمة عصرك؟!

۞ ثم الناس يُوهبون الأولاد..

← فأحكام المولد وتسمية المولود، وأحكام العقيقة..
← ولا تَنسَ عن النفقات، وأرشدنا إلى كيفية تربية الأولاد.

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ثم الحياة قد تكون صعبةً مع الشريكين لسببٍ أو لآخر..

← فنظّم لنا أمر الطلاق، وما رأيك بالتهديد بالطلاق؟!
← وما تقول في الخُلع؟! وما رأيك في الظهار؟! وماذا عن المُلاعنة؟ وأحكام العدد؟
← وما تقول في شأن المطلقة أتخرج من بيتها، أم تظلُّ فيه؟ ولماذا؟!

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ولا تنسَ أنَّ الناس تموت وتذر الأموال..

← بيّن لنا أحكام الميراث، ومن العصبة، ومَن يحجب عن الميراث..
← ما رأيك في ميراث المفقود، وميراث الحمل، وميراث المطلقة؟! وكن في التوزيع حكيمًا تعطي كل وارثٍ ما يناسب حاله!

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ثم لا تنس يا صاحبي أن تتكلّم عن الأخلاق..

← الغيبة وكن دقيقًا وبيّن متى تجوز ومتى لا تجوز؟!
← الإخلاص والصدق والوفاء، الأمانة والبر وصلة الأرحام، البخل والرياء والنفاق، الصبر والشكر والرضا والحمد..
← وعلمنا ما الجيد وما الرديء؟! وعلمنا كيف نصل إلى سنام تلك الأخلاق إن كانت كريمة؟! وكيف نحترز من اللئيمة؟!

ألم أقل لك: ستكون علاّمة عصرك؟!

۞ ولا تنسنا يا صاحبي من الحديث عن الدار الآخرة..

← صفها وكُن في وصفك مفيدًا دقيقًا..

← وزدنا بالوعيد والوعد، والترغيب والترهيب.

ألم أقل لك: ستكون علامة عصرك؟!

أرأيت يا صاحبي..

كيف ستقضي يومك تقرأ وتقرأ وتبحث وتفكر! .. لكن حتى يتم أمرك، ويكون التشريع دافعًا لوسمك بأعلى الأوصاف، نريده تشريعًا:

(١) في أسلوبٍ بليغٍ يُناسب كلَّ تنظيرٍ له المقام.

(٢) يُناسب كلَّ المحبين، فلا يشكو أحدٌ من فراغه من العبادة رغم حاجته للزيادة.

(٣) يكون في معظم مسائله حدٌّ واجبٌ لا يجوز النقص عنه لكلِّ مقتصد، وحدٌّ حسنٌ يقوم به المجتهد.

(٤) لا يكون الأسلوب جازمًا حازمًا، بل دع الفرصة للاستنباط، فالناس مشارب، وفي نفس الوقت دَعِ الحقَّ واضحًا لا لبس فيه عند التأمل!

(٥) لا يتناقض قولك في مسألةٍ مع أخرى، ولو كان ذلك التناقض بين لازم قولك ولازم قولك الآخر! فإياك أن تبيح الخمر والملابس الحرة والاختلاط، ثم تقول لا يجوز وقوع الزنا واختلاط الأنساب، بل التشريع يقوم بعضه ببعض، ويشدُّ بعضُه بعضًا.

(٦) يكون قولُك في كلِّ حكمٍ في تشريعك صحيحًا يشهد بصحته أهل التخصص في كلِّ آنٍ، فإياك أن تبيح الربا؛ لأنه يأتي بفائدةٍ آنية، فسوف يقول لك عتاة الاقتصاد: «هذه الفائدة الآنية مع الاستمرار ستأتي على المجتمع بتضخمٍ يفسد الاقتصاد»، وعندها يا صاحبي ستضيع الثقة في تشريعك.

(٧) يكون التشريع مناسبًا لكلِّ زمان، فلا يشكو الأقوام بعد ألف عامٍ أنَّك لم تضمهم في الحسبان.

(٨) يكون تشريعك مناسبًا لكُلِّ مكان، حتى ولو كان المكان فيه النهار ستة أشهر، فاعطهم نصوصًا تحلُّ لهم ما أشكل عليهم.

(٩) لا يفوتك في تشريعك أيُّ شأنٍ يلزم من شئون الحياة؛ ليكون تشريعك كاملاً من كل وجه.

(١٠) تضع في تشريعك مراتب الحسن والقبح، فهذا حسن، وذاك واجب، وذاك خلاف الأولى، وذاك مكروه، وذاك لا يجوز، وذاك مباح، وكلُّ ذاك في أسلوب سلسٍ يسير.

(١١) إن ضغط عليك قومك من حولك، وأبت الأهواء إلاَّ خلاف رأيك، فلا تأبه بهم، وعليك أن تظلَّ على رأيك.

(١٢) ولا يجوز لك الاستعانة - بعد الأربعين سنة - بأية لجنةٍ من لجان الاقتصاديين، ولا أية طائفةٍ من علماء النفس، ولا أية كوكبةٍ من أهل الفلك، ولا يحق لك استشارة الأطباء، ولا يجوز لك استشارة القانونيين والدبلوماسيين والسياسيين، لا لأنَّهم على كثرتهم قد يخطئون، لا لأنَّهم على كثرتهم قد وضعوا قوانينَ باطلةً فعدلوها، لا لأنَّهم على كثرتهم قد يعجزون أمام خبايا النفس البشريَّة، لا لأي شيءٍ من هذا.. بل لأنَّه قد كانت الفرصةالذهبيَّة عندي هكذا.. و هكذا ينبغي أن تكون لك.

ما أحسنني لك ناصحًا!

أريد لك أن تكون وحيدًا فريدًا لا يسمو إليك أحدٌ في منزلتك! فهل تقبل هذه الفرصة يا صاحبي؟! لا أدري! لا أدري هل ترضى بتعب الأربعين سنة أم لا!

لكني ساطلب منك طلبًا زائدًا..

بعد هذا الجهد الجهيد، والعمل المديد، والتشريع السديد..

أريدك.. أريدك أن تقول: ليس لي يد في هذا التشريع!

أريدك أن تقول: أنا مجرد ناقل!

أريدك أن تقول: لا تطروني ولا تعظموني!

أريدك أن تقول: لا أملك من الأمر شيئًا!

أريدك أن تقول: تلك كلها حكمة ربي لا حكمتي!

أريدك أن تقول: لا تجعلوني لمن أنقل عنه ندًا؛ فإنه أعظم مني!

أتستغني عن تعبك؛ لتكون ناقلاً أمينًا، وأنت في الحقيقة غير ناقل؟! أتستغني عن جهدك؛ لتكون مُبلِّغًا بصدق وأنت في الحقيقة غير مُبلِّغ؟!

أوَّه لكأنِّي حرضتك عليَّ!

لكأنك ستقول: هذا هراءٌ يا صاحبي!

لكأنك ستقول: تلك فرصةٌ لا تنتهز، تلك فرصةٌ لا وجودَ لها!

لكأنك ستصرخ بي:

لئن ظللت عمرين وثلاثة لا أربعين سنة، فأقصى الأمل أن أتقن فنًا واحدًا لا فنون عددًا، وأنت تريدني متقنًا لـ (الاجتماع، وعلم النفس، والسلوك، والأخلاق، والقانون، والعَلاقات المدنيَّة، والدبلوماسيَّة، والدوليَّة، والتاريخ، والأديان، و...، و......).

وتريدني على ذلك أن أقول قولاً لا يأتيه الباطل من يمينٍ أو شمال؟!

وتريديني في ذلك أن آتي بقولٍ يعجب المتخصصين ثم تريدني ألاَّ أستشيرهم في شيءٍ بعد الأربعين؟!

وتريدني في ذلك أن أقول قولاً يناسب العصور التي لم أرها، والأزمان التي لم أشهدها؟!

وتريدني في ذلك أن أبحث لأماكنَ لا أعرفها ومناطقَ لم أختبرها؟!
وتريدني في ذلك أن أفصل الأحسن فالأحسن والأسوأ فالأسوأ؟!
وتريدني في ذلك أن أضع في حسباني تنوع نفوس البشر؟!
وتريدني في ذلك أن أضع في حسباني اجتهادات المجتهدين وكد المخلصين؟!
وتريدني في ذلك أن أيسر السبيل لكلامي الطويل العريض؟!
وتريدني على عرض كلامي وطوله أن أذكره فلا ينقض منه قولٌ آخر، بل يأخذ بعضُه ببعض كالبنيان المرصوص؟!
وتريدني في ذلك أن أسوقه في أسلوبٍ بليغٍ يذهل البلغاء، وكلُّ قولٍ يناسب مقامه؟!
وتريدني في ذلك أن أنكر جهدي وتعبي وأنسبه كاذبًا - وأنا ما تعودت الكذب - لغيري؟!
وتريدني في ذلك أن أكذب على نفسي، وأدَّعي أنِّي مجرد ناقل، وأنا لست بناقل؟!

ثم تزعمها فرصةً ذهبيَّة؟!!

لقد ضيَّعت فرحتي بفرصتك! وما أشد حسرتي الآن عليها! فليتك إن لم تصدقني القول سكت! وكم من كلمةٍ خرجت تسيل الألم!

قلتُ والله يا صاحبي إنِّي لصادقٌ معك فيما هو أشد من ذلك!

فاسمع!

ألم يزعم المنطق الإلحادي ذلك؟! ألم يقل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى بذلك وأكثر من ذلك؟!

فانظر في المواقع الإسلاميَّة والمكتبات الشرعيَّة والبحوث الدينيَّة في شتَّى المشارب، أليست كلُّها ناهلةً من بحر ذلك التشريع؟!

فالكل ينهل من بحر التشريع... التشريع الذي أراك تحمل عليَّ حملةً شديدةً أن أردت منك الإتيان بمثله!

فكيف وهو ﷺ الصادق الأمين؟!

فكيف وهو ﷺ لم يقرأ ولم يكتب في الأربعين؟!

لقد كان حق كلامك أن يصير إلى المنطق الإلحادي لا إليَّ، فتعال! فتعال يا أبا الحكم أخبرك بمنطق اليقين والحق المبين!

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

اقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

ألم أقـل لـك:
إنَّها سبيــل الرُّســل؟!

۞ اقرأ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

۞ اقرأ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

۞ اقرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

۞ اقرأ: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

۞ اقرأ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾.

۞ افهم: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾.

۞ افهم: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾.

فبالذي خلق لك عينين، ولسانًا وشفتين، وهداك النجدين..

اي النجدين احق بالاتباع؟!

أتقارن الثرى بالثريا؟!

أمازلت تمقت نفسك إلى درجة اتباع المنطق الإلحادي؟!

أَمَا آن لك أن ترجع؟!

والله ليس الطريق هنالك..

أما آن؟!

أزيدك، أم تجيبني؟! أزيدك بالكلام عن ربي وربك، أم تجيبني بإسلامك لربك وربي؟! ما تفعل يا صاحبي؟!

بانتظارك.. ■





من هنا.. بدأتُ إيماني

ثمّ مضت فترةٌ من الزمان، لا ندري فيها ما الذي صار إليه أبا الحكم، ثمّ عاد ليخبرنا بإسلامه قائلاً:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

من هنا بدأتُ إيماني، وكان حقًا عليّ أن أتابع معكم، ولكنّي يا أخوتي وأحبتي بالله انقطعتُ لظروفٍ خارجةٍ عن إرادتي، فسامحوني جزاكم الله كل خيرا!

بدايةً ما وددتُ أن أعلن اسلامي بموضوعٍ مستقلٍ خوفًا من أن يظنّ البعض أنّني عرضته رياءً، فأعوذ بالله من ذلك.

بحقّ من رفع السماء بغير عمدٍ..

إنّ حلاوة الإيمان ما بعدها حلاوة!

آه على تلك السنوات التي مرّت من عمري وأنا بعيدٌ عن طريقكم!

قد يسألني البعض عن عمري؛ لوددت القول إنّني بهذا اليوم بلغتُ عامي الأول، عامي الأول بالإسلام، وعامي بالإيمان، وعامي بالراحة النفسيّة، وعامي بالسعادة التي تغمر قلبي..

أخي وحبيبي بالله حسـام الدين حامـد!

والله أعجز عن الكلام والامتنان لك، ولكنّي تعلمت أنّ المسلم يقول لأخيه المسلم جزاك الله خيرًا، وأسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياك على الحق، ويجعلنا من أصحاب اليمين.

أعدكم أن أحاول التواصل معكم..

أخوكم بالله:

أبو الهيثم

وقال في نصيحة أختٍ تراودها شبهاتٌ بخصوص إيمانها:

إنّ الحيرة قد تجعلنا نقدم على فهمٍ أعمق للعقيدة الإسلاميّة، وإنّ حيرتك - بإذنه تعالى وبما أنّك صرّحتِ علنًا بها - سوف تقودك للصلاح وخير العمل.

يا أختي! كم تمنيت لو كنت مختارًا على أن أكون كما كنت سابقًا، ولكن أحمد الله - عزّ وجلّ - على نعمه، وأنا الآن - بإذنه تعالى ورحمته عليّ - مؤمنٌ بالله، وبكتبه، ورسله، عاقد العزم على عدم الرجوع خطوةً واحدةً للوراء، أسأل الله لك حسن الخاتمة!

أختي! صدقيني إنّ مَن يتذوق حلاوة الإيمان ينسى ما كان عليه، والله كلّ كنوز الأرض لا تنفع نفسًا حائرةً بين الضلال والحق.

تعب الليالي الذي كان يرهقني تفكيرًا بالموت، والذي كان يقربني إليه أكثر، صدقيني يا أختاه! إنّني الآن أنام ليلي وأنا مرتاح البال ولم أعد أخاف الموت..

وأسأل الله أن يقبض روحي وأنا على الإسلام!

أستغفر الله العظيم لي ولكم. ■



